IUGJEPS
Vol 29, No 3, 2021, pp 291 -322

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2020-09-12)، تاريخ قبول النشر (2020-10-31)

تحليل المقولات الخطابية الأسرية -دراسة تداولية القرآن الكريم نموذجاً

اسم الباحث:
د. نبال نبيل نزّال

اسم الجامعة والبلد:
قسم اللغة العربية وآدابها-كلية الآداب-
جامعة الزيتونة الأردنية -الأردن

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:
E-mail address: Dr.nibal@zuj.edu.jo

https://doi.org/10.33976/IUGJHR.29.3/2021/13

الملخص:

تسعى هذه الدّراسة إلى تحليل المقولات الخطابية في الأسرة، تحديداً في مقولات الأنداد والأضداد فيها، وهم: الزوج والزوجة، والأخوة، والأب وأبنائه، متّخذة القرآن الكريم نموذجاً؛ فهو نصّ غنيّ بالمقولات الخطابية لكثير من فئات المجتمع الذين يشكّلون الأسَر، وما الأسرة إلا نواته، وأفرادها هم المجتمع.

قامت الدراسة بتحليل المقولات الخطابية من خلال التراكيب والأساليب اللغوية الخبرية والإنشائية، تحكمها السياقات وأطراف الخطاب، وذلك ناتج عن قصديّة اقتضتها طبيعة العلاقة بين أطراف الخطاب والرّسالة التّداولية وأهدافها الإبلاغية وتأثيرها أثناء عملية التواصل، فقد يُقال شيء ويُراد به شيء آخر، لذلك تبدو مقولاتهم مُسيّسة وفق استراتيجيات بعينها دون غيرها.

وخلص البحث إلى أهميّة دراسة المقولات الخطابية وفق معطيات التداولية، كونها تحلّلها ليس من منظور تركيبيّ أو لغويّ فحسب، بل وفق شبكة معطيات عدة، تكشف أبعاد الرسالة التخاطبية، والعلاقات بين أطراف الخطاب، والقضايا التي يهتمون بها، والاستراتيجيات التي يتقوّلونها أثناء تواصلهم، ليتأتّى التأثير.

كلمات مفتاحية: تحليل المقولات الخطابية، الأسرة، استراتيجيات، القرآن الكريم، التداولية.

A Pragmatic Study of Familial Speech Acts: The Holy Quran as a Model

Abstract:

The aim of this study is to analyze familial speech acts, specifically those that occur amongst peers and rivals, namely spouses, siblings as well as the father and his children. Moreover, this study takes the Holy Quran as a model for analysis since it is a text rich in the speech acts of numerous individuals within families who comprise the core of any society.

This study analyzes the informative and compositional linguistic structures of speech acts which are governed by the context of utterance, the intent of the two speakers as well as the informative purposes of the pragmatic message and its impact during the communicative process. Notably, there may be a discrepancy between speech and the inferred intent of the speaker. Therefore, speech acts appear to be geared according to specific strategies.

In conclusion, this research stresses the significance of the pragmatic study of speech acts since such a study not only analyses speech acts within a structural / linguistic framework, but rather within a complex network which reveals numerous dimensions of the communicative message, the relationship between the addresser and the addressee and the issues concerning them, in addition to the communicative strategies employed to achieve the desired impact.

Keywords: Analysis of speech acts, family, strategies, Holy Quran, Pragmatics.

المقدمة:

الهدف من الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما العلاقة بين طرفي الخطاب: المخاطِب والمخاطَب؟

ما السياق التي قيلت فيه المقولة الخطابية؟

ما القصد الذي سعاه المخاطِب من مقولته الخطابية للتأثير على المخاطَب في العملية التواصلية؟

ما الأساليب اللغوية في المقولة الخطابية التي تكشف عن قصد المخاطِب والاستراتيجية المتبعة في الخطاب؟

ما الاستراتيجيات التي دفعت المخاطِب لاتّباعها من خلال القصد والسياق والمخاطَب؟

أهمية الدراسة:

لا تكتفي التداولية بتحليل المقولة الخطابية بأساليبها اللغوية أو تحليل عناصر تراكيبها فحسب، بل تنظر إلى أبعد من ذلك؛ كون التداولية تتعالق مع أكثر من علم، فهي تحلّل المقولة الخطابية بأبعادها المختلفة التي قيلت فيها، فالرسالة الخطابية تتمحور بين منْ أصدرها، ولمن؛ وهما طرفا الخطاب: المخاطِب والمخاطَب، ونوعية العلاقة التي تربطهما، ومن ثم تهتم بقصد تلك المقولة أو الرسالة، والأثر الذي تركته في المخاطِب، ثم تقف على المناسبة التي قيلت فيها أو سياقها أو محور القضية التي أدّت إلى تلك المقولة، وتترجم ذا أو ذاك أساليبها التركيبية واللغوية، سواء أكانت خبرية أو إنشائية، ومن بعدُ لماذا أنتجت المقولة وفق استراتيجية دون غيرها؛ لذا جاءت أهمية الدراسة في سبر أغوار المقولات الخطابية، تتناول فئة مجتمعية متمثلة في الأسرة وأفرادها: الزوج والزوجة، والآباء والأبناء، والأخوة، وما هذه الأسرة وأفرادها إلا النواة التي يتألّف منها مجتمعنا الكبير.

منهجية الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في الوقوف على المقولات الخطابية في قسمين رديفين: أولهما الدراسة النظرية التي تناولت بعض القضايا المنوطة بمفردات البحث كالخطاب، وعناصره: طرفا الخطاب، الرسالة، واستراتيجياته، وقصدية الخطاب وسياقه. وثانيهما: الدراسة التطبيقية التي عالجت تحليل المقولات الخطابية في الأسرة المتمثلة في فئتي الأنداد والأضداد، وسياقاتها، ومقاصدها، واستراتيجياتها.

وقد استفادت الدراسة في الجانب النظري من الكتب التي تناولت مفاهيم في اللسانيات التداولية أهمها استراتيجيات الخطاب للشهري، والتداولية عند علماء العرب لمسعود صحراوي وفي اللسانيات التداولية لخليفة بوجادي، بينما اتكأت في تحليل المقولات الخطابية وأساليبها على كتب التفاسير ، كتفسير الزمخشري والقرطبي والطبري ورضا وقطب، وكتب النحو لابن يعيش، ولابن مالك.. وثمة دراسة لخطاب المرأة اللغوي في القرآن الكريم لبيدس والعليمات إلا أنها لم تتغيّا كدراستنا هذه.

الدراسة النظرية

تمهيد:

ارتأى لفيف من العلماء أن اللغة ظاهرة اجتماعيّة، ووسيلة للتواصل بينهم[1]؛ و"أن بقاء العلاقات الاجتماعية واستمرارها بين الأفراد وتعميقها وتمتينها وترابطها مرهون باستمرار التواصل بينهم" [2] ، ورأوا أن "للعملية التواصلية عناصر ومقومات تساعدنا في فهم ما يحدث بين الناس حين يتفاعلون مع بعضهم بعضا، والمآلات التي يفضي إليها هذا التفاعل[3]".

(1) قيّد جلّة من العلماء علاقة الإنسان بالمجتمع، وما دوّنوه في علم اللغة الاجتماعي نحو: السعران؛ اللغة والمجتمع رأي ومنهج، ولويس، اللغة في المجتمع، وظاظا، اللسان والإنسان، ووافي، اللغة والمجتمع. والدويك، بحوث في اللغويات الاجتماعية التطبيقية. ولطفي، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي. ونهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب. و بيكرتون، اللغة وسلوك الإنسان.

والتواصل اللفظي من وسائل التواصل بين الجنس البشري الذي يرتكز على اللغة المحكيّة المتداولة بينهم، والحديث الجاري بين النّاس يتّكئ على وظيفتيْن رئيستيْن، هما: التّعامليّة والتّفاعليّة[4]، فتقوم الأولى على نقل المعلومات بين المخاطِبين والمخاطَبين؛ لبناء خطاب ما، يمكّنهم من التّواصل المنشود لأغراض متباينة، كالتّوجيه، والتّحذير، والطّلب... أمّا الثّانية فتقوم على المعاملات اليوميّة، والعلاقات الاجتماعيّة المتبادلة؛ في إقامة العلاقات وتثبيتها والتأثّر والتّأثير... "فاللغة إحدى أهم وسائل نشاطنا العلميّ والفكريّ والاجتماعيّ[5]"، بل الإنسان لغة، فلا إنسانية بدون لغة[6].

الخطاب واستراتيجياته

يعدّ الخطاب جزءاً من اللغة الإنسانية، وهو سلسة من الجمل أو نصّا متكاملاً، تختلف أنماطه، فقد يكون سرديّاً أو وصفياً أو حجاجياً أو فنيّاً أو علمياً... إلى غير تلك الأنماط الخطابية المعروفة[7]، وارتبط مفهوم الخطاب عند العرب بمفهوم التخاطب، فجاء في اللسان أنه "مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان"[8]، وورد عن (الآمدي) أنه: "اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيّئ لفهمه"[9]، ويرى (الجويني) أنّ" الكلام والخطاب والتكلّم والتخاطب والنطق واحد في حقيقة اللغة، وهو ما به يصير الحيّ متكلّماً"[10]. ويراه صاحب (طه عبد الرحمن) بأنه "كل منطوق به موجّه به إلى الغير؛ بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً"[11]. بينما تعدّد تعريفه عند الغربيين؛ وذلك بتنوع الدراسات التي تناولته، فعلى سبيل المثال عرّفه (بنفيست) بأنّه "وحدة لغوية تفوق الجملة، تولد من لغة جماعية، وأي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راو ومستمع، وعند الأول فيه نية التأثير في الآخر بطريقة معينة"[12]، فمفهوم الخطاب يشير إلى عناصره الأساسيّة التي لا يتقولب إلا بها، وهي: المخاطِب، والمخاطَب، والعلاقة المشتركة بينهما، وهذه العناصر لا تجري إلا من خلال السّياق، كما يرى الشهري بقوله: "ويقوم الخطاب أي خطاب على هذه العناصر الأساسية، وما يحيلها إلى عناصر سياقية، هو أن الخطاب ممارسة تجري تداولياً في السياق، مما يحول دون ثبات سماتها، فالمرسل متجدد، وكذلك المرسل إليه، كما أن عناصر السياق الأخرى متغيرة دوماً"[13]، وتضيف التداولية التأثير الحاصل بين طرفي الخطاب؛ لإقناعه أو شكره، أو استفزازه... وحتى تصل الرسالة بينهما يتّبع المخاطِب أكثر من استراتيجية في مقولته الخطابية: انتقاء الألفاظ المعجمية، والإحالات الإشاريات والضمائم أو الروابط والضمائر، وأساليب خبرية وإنشائية، وصيغ مباشرة وأخرى غير مباشرة...

وللخطاب استراتيجيات، تتبوّأ مكانة مهمّة في النّظام اللغويّ؛ فهي طرائق مخطّط لها بصفة مستمرّة وشعوريّة، توصّل المقاصد والأهداف من العملية التخاطبية، وتعين على إدارة دفّة الحديث، وبها يكمن التّوافق مع سياق الخطاب أيّاً كان نوعه، سياقاً عامّاً أم سياقاً خاصّاً، وتختلف من مرسِل إلى مرسِل آخر[14]، وتتجلّى من خلال مهارة المرسِل وكفاءته التّداوليّة[15]، فـ(الاستراتيجيّة) على

([2]) ساري، التواصل الاجتماعي: (ص20).
([3]) ساري، التواصل الاجتماعي: (ص32).
([4]) براون ويول: (ص2–4).
([5]) نهر، اللسانيات الاجتماعية: (ص17).
([6]) الحبابي، تأملات في اللغة والنحو: (ص18).
([7]) المتوكل، اللسانيات الوظيفية وتحليل الخطاب: (ص33) .
([8]) ابن منظور، لسان العرب: (مادة خطب).
([9]) الآمدي. الأحكام في أصول الأحكام: (ص136).
([10]) الجويني. الكافية في الجدل: (ص32).
([11]) عبد الرحمن، طه. اللسان والميزان: (ص215).
([12]) الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث: (ص40).
([13]) الشهري، استراتيجيات الخطاب: (ص77/1) .
([14]) الشهري، استراتيجيات الخطاب: (ص21/1، 95) .

حدّ تعريف الشّهريّ "عبارة عن المسلك المناسب الذي يتّخذه المرسِل للتلفّظ بخطابه، من أجل تنفيذ إرادته، والتّعبير عن مقصده الذي يؤدّي لتحقيق أهدافه، من خلال استعمال العلامات اللغويّة وغير اللغويّة، وفقاً لما يقتضيه سياق التّلفّظ بعناصره المتنوّعة، ويستحسنه المرسِل[16]".

وبما أنّ الخطاب يسير وفق بعديْه: النّصّ والسّياق[17]، – ويقصد بالنّصّ بنية الخطاب الدّاخلية في قوالبه الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة، أما السّياق فهو البنية الخارجيّة لإنتاج الخطاب كالظّروف والمؤثّرات– فهو فعل اجتماعيّ، تنعكس لغته وسماته اللفظيّة والتّركيبيّة والفنولوجيّة، وتكسب دلالاتها من الممارسات الاجتماعيّة والبيئة الثّقافيّة والأيديولوجيّة المُتبنّاة والمكانة المُتبوّأة، ومن ثمّ تتدخّل هذه العناصر"في تحديد استعمالات اللغة، وفي انتشار بعض الاستراتيجيّات على حساب انحسار البعض الآخر، مثل استعمال استراتيجيّة التّأدّب مقابل استراتيجيّة الجفاء، أو استراتيجيّة المراوغة التي يمكن تسمية خطابها تأدّباً بالخطاب الدّبلوماسيّ، وإن كان يجري هذه الخطاب في مناخ اجتماعيّ يوميّ، وليتواصل المرسل مع غيره بالخطاب، عبر استراتيجيّة معيّنة، يقتضي أن يمتلك كفاءة تفوق كفاءته اللغويّة؛ ليتمكّن بها من تحقيق ذلك[18]"، فالعلاقة بين المخاطِب والمخاطَب هي التي تجسّد الخطاب وتحدّد استراتيجيّاته.

العلاقة بين طرفي الخطاب؛ المخاطِب والمخاطَب:

يرتكز الخطاب على المخاطِب وهو منتج المقولة الخطابية، والمخاطَب وهو المتلقي لها، ونُظْم الخطاب اللغوية الاجتماعية تتحكّم فيها نوعية العلاقة بين المتخاطبين[19] فطبيعة العلاقات بين المخاطِب والمخاطَب متباينة، كعلاقة العمر بينهما، أو درجة القرابة أو البعد، وطبيعة الموقف بينهما أهو رسمي أم غير رسمي، وكذلك العلاقة العاطفية بينهما من ودّ أو صدّ، وفاق أو اختلاف... فلا يستخدم الابن مثلا في خطابه لأبيه صيغة الأمر أو النهي المباشرتين إلا إذا كانت العلاقة بينهما غير سوية.

ويكون في ذهن المخاطِب مقولته الخطابية التي تتواءم والمخاطَب، والقصد من الخطاب، في سياق ما، وقد تختلف القصدية، أو تختلف السياقات، مما يؤدي إلى اختلاف المقولات الخطابية، واختلاف الأساليب اللغوية، والألفاظ المعجمية، والاستراتيجية، وإن كان طرفا الخطاب هما نفسهما؛ كي تنجح عملية التواصل بين طرفي الخطاب، ويحقق المخاطِب هدفه.

ولأنّ الأسرة النّواة الأولى في المجتمع، يتشكّل منها أفراده، فإنّ إنتاج الخطاب حتميّ بينهم، وقد يتبدّى في ظاهر الأمر أنّ أفراد الأسرة الواحدة متماثلون أو متشابهون إلى حدّ كبير في خطابهم اللغويّ، لكنّ الحقيقة ليست كذلك؛ فهم متباينون في الخطاب، ومردّ هذا التباين اختلاف أجناسهم وأعمارهم وأمزجتهم وأحاسيسهم ورُتبهم وثقافاتهم وتنشئتهم وبيئاتهم الاجتماعيّة والنّفسيّة والسّيكولوجيّة والأيديولوجيّة...إلخ، وما هذا أو ذاك إلا منتج للخطاب، يجسّد ذاته الاجتماعيّة من خلال اللغة، فالفرد "يستجيب في النهاية للغة

([15]) يرى التّداوليّون بأنّ مصطلح (الكفاءة التّداوليّة) يقابل مصطلح (القدرة التّواصليّة)، لكن الكفاءة التّداوليّة مكوّن فاعل ضمن تكوين الإنسان السّويّ، تماماً كما هي كفاءته اللغويّة، بيد أنّ الكفاءة التّداوليّة أنساق متعدّدة متآلفة، إذ تتألّف القدرة التّواصليّة لدى مستعمل اللغة الطّبيعيّة من خمس ملكات، هي: الملكة اللغويّة والملكة المعرفيّة والملكة المنطقيّة والملكة الإدراكيّة والملكة الاجتماعيّة، كلّ ملكة تنتج قالباً ينتمي إليها، وهي: القالب اللغوي، والقالب المعرفيّ، والقالب المنطقيّ، والقالب الإدراكيّ، والقالب الاجتماعيّ، ويمثّل بعض هذه القوالب القدة اللغوية، في حين تمثّل القوالب الأخرى السيّاق، كلها تصنع الخطاب لكن بدرجات متفاوتة، ولأنّ الكفاءة اللغوية لا تنهض وحدها بعمليّة التّواصل المناسبة للسّياق، فتستثمر الكفاءة التّداوليّة تلك القوالب الكامنة في ذهن الإنسان، بما في ذلك كفاءته اللغوية. ينظر: المتوكّل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (ص17)، و(الشّهريّ، استراتيجيات الخطاب: (ص 102– 95/1) .

([16]) الشهري، استراتيجيات الخطاب: (ص102/1).

([17]) تناول ثلة من الباحثين النص والسياق والعلاقة بينهما من وجهات نظر مختلفة، للمزيد ينظر ما كتبه يقطين في كتابه تحليل الخطاب الروائي. ومصابيح في كتابه مفهوم النص والخطاب. وبودرع في كتابه النص والخطاب.

([18]) الشهري، استراتيجيات الخطاب: (ص95/1) .

([19]) العبد، النص والخطاب والاتصال: (ص83).

وقوانينها وسلطتها [20]"، ويرى (دولودال) أن "اختيار استراتيجيّة وليست أخرى يتعلّق بالسّياق، أي يتعلّق بالمتخاطبين وبعلاقتهما داخل السّياق، بل ويتعلّق بما هو خارج السّياق، أي يتعلّق بما يعرفه المتخاطبان عن المقام، وعمّا يريدان قوله أو سماعه، وهما يعرفان معرفة تامّة المدى الذي يمكن أن يبلغاه في الخطاب، فأحد المخاطبيْن ممكن أن يكون خطيباً أو معلّماً، والآخر ممكن أن يكون جمهوراً أو مستمعاً، فالصّور يجب أن تكون مضبوطة حتى تناسب المقام بالشّكل الأقرب[21]"، وإن كانوا جميعاً ضمن أسرة واحدة.

المقولة الخطابية أو الرسالة المغيّاة

يرى بوحوش أنّ:" الخطاب كتلة نطقيّة، لها طابع الفوضى وحرارة النّفس، ورغبة النطق، ليس هو تماماً الجملة، ولا هو تماماً النّصّ، بل هو فعل يريد أن يقوله[22]". فهو بهذا يشير إلى أن المقولة الخطابية أفعال تنجز، وفق عدّة مسوّغات، والتداولية تسعى إلى تسليح اللغة بوسائل عدّة، كالفلسفة والمنطق وعلم النفس واللسانيات؛ إيماناً منها بأن عمليات التواصل الاجتماعي تتبني على مستويات تعبيريّة مختلفة، وأفعال كلاميّة متنوعة، تتجاوز حدود الجملة المعيارية إلى الخطاب برحابة أفقه، وتفعّل دور اللغة في عمليّة الخطاب من خلال فكرة استعمالها، إذ انبنت هذه النظرية على دراسة الأساليب الكلامية، والآثار الدلالية المقترنة بالسياق المقاميّ.

والمقولة الخطابية أساس التواصل بين أطراف الخطاب، فهي الرسالة التي يراد إيصالها لتُحدث التفاعل والتواصل مع أفراد العالم، ترتكز على عدة استراتيجيات يختارها المخاطِب: كالهدف من الخطاب، السياق الذي يجري فيه الخطاب، ألفاظه المعجمية، وتراكيبه النحوية، والإحالات، والإشاريات، والضمائر...في جمل خبرية أو إنشائية، تفيد التوكيد أو التشكيك، تحتمل الصدق أو الكذب، من خلال: النداء، الاستفهام، النهي، الأمر، المدح، الذم... بصورها المباشرة، أو غير المباشرة، تحمل في طياتها الهدف أو المقصد من هذا وذاك: التحذير، التنبيه، التوجيه، التقريع، التوبيخ، الثناء، الطلب، الإقناع، الاسترشاد، المهادنة، المصالحة...

ولتتم عملية الخطاب فإن المخاطِب قبل أن يشرع في مقولته فإنه يضع في ذهنه من سيوجه له مقولته: قريب أو بعيد، حبيب أو عدوّ، أعلى منه أو أدنى مقاماً اجتماعيا أو وظيفياً... ولا يغفل عن السياق التي تقال فيه مقولته الخطابية، والقصد منها أو أهدافها، لتتبوطق في استراتيجية دون غيرها تبعاً لكل العناصر المتحكّمة في مقولته: كأن تكون استراتيجية تصريحية، تلميحية، رسمية، غير رسمية، مُباغتة، مُماطلة، مُهادنة، مُساءلة، مُحاسبة، مُكاشفة.. وهكذا

دور السياق في تحليل المقولة الخطابية:

يرى (المسدّي) أن تحليل الخطاب يدور على قاعدتين مهمّتين هما: تفكيك الخطاب وإنتاج الخطاب، أما تفكيكه فهو وجه من وجوه تحليله، ولكنه يتميز بإرادة الكشف عن المضمنات التي تقولها بنية الكلام، بينما يتجلى تحليل الخطاب بالوجه العمليّ من المعرفة، وما هو إلا واجهة أخرى من إحكام قواعد التواصل اللغويّ[23]. ولا يكتمل التفكيك والإنتاج إلا من خلال استنباط المعنى أو الدلالة المتحققة للخطاب، فكان للسياق دوره بحيث جعله (هاينيه) "شرطاً اتصالياً في إنتاج الخطاب[24]"، ويذهب (براون) إلى أبعد من ذلك فيقول: "بقدر ما يعرف المحلل أكثر ما يمكن من خصائص السياق بقدر ما يحتمل أن يكون قادراً على التنبؤ بما يحتمل أن يُقال[25]". ويرى (الخطابي)[26] أن تحليل الخطاب لا يتوقف على قدرة المحلل أو المتلقي فقط، ولكن الخطاب القابل للفهم والتأويل

([20]) أدهم، فلسفة اللغة :(ص153) .

([21]) دولودال، التحليل السيموطيقي للنص الشعري: (ص74) .

([22]) بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب: (ص71).

([23]) المسدي، السياسة وسلطة اللغة: (ص95).

([24]) هاينيه، مدخل إلى علم اللغة النصي: (ص57).

([25]) براون ويول. تحليل الخطاب: (ص 35) .

([26]) خطابي، محمد. لسانيات النص مدخل إلى إنسجام الخطاب: (ص59).

هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه، إذ كثيراً ما يكون المتلقّي أمام خطاب بسيط من حيث لغته ولكنه يتضمن قرائن تجعله غامضاً غير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإنّ للسياق دوراً فعّالاً في تواصلية الخطاب، وفي إنسجامه بالأساس، وفي تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس. وهذا ما رآه (النورج) كذلك أن "السّياق يؤدّي ضرورة حتمية في الكشف عن استراتيجيات الخطاب[27]".

المقصدية في المقولة الخطابية:

في البحوث التداولية لا يمكن أن يستعمل الخطاب وفق تراكيب مجردة للغة بعيدة عن دلالاتها، وإلا لأنتجنا تراكيب نحوية فحسب، ولا يمكن أن ننتج خطاباً ذا دلالة بمعزل عن تأثير المخاطِب في المخاطَب، ولا تتم التفاعلية بينهما إلا إذا عرف المخاطِب مقصدية المخاطَب، وأهداف خطابه، أي معرفة مستعمل الخطاب ومؤوله، ولا يمكن أن تتمّ هذه التوليفة إلا من خلال سياق المقولة الخطابية أو السياق الخارجي الذي أدّى إلى إنتاجها. وهذا ما دفع (موريس) بأن يرى أن التراكيب والدلالة والتداولية معا تشكّل فروعاً لدراسة السيميائيات[28]. ويرى (الشهري) أن المعنى لا تتحكم فيه اللغة بقدر ما يتحكّم فيه مستعملوها، ولا نتصور أنه سيكون هناك خطاب لغوي لا يعنى فيه منتجه بمرحلة التركيب، فالخطاب نسيج من اللغة في المقام الأول رغم أن الاستعمال هو ما يجعله فاعلاً[29].

التداولية وتحليل الخطاب

تعود نشأة التداولية إلى عام 1955م عندما ألقى (جون أوستين) محاضراته في جامعة هارفرد ضمن برنامج (محاضرات وليم جايمس)، ويعدّ الفيلسوف الأمريكي (شارلز ساندرس بيرس) مؤسس البراغماتية أو التداولية حين بيّن معالمها في مقالَيْن؛ نشر الأول سنة 1878م بعنوان (كيف تجعل أفكارك واضحة؟)، والثاني نشره عام 1905م، بعنوان (ما هي البراغماتية؟). ولقد كان له الفضل الأكبر في المنعطف الحاسم الذي حصل صوب اللسانيات التداولية[30]. وتعدّ أعمال اللغويين العرب جذوراً أولى لهذه النظرية وإرهاصات لها؛ لتكون بدايتها الفعلية على يد كل من أوستين وسيرل، ويعدّ أول من استعمل مصطلح التداولية أو التداوليات طه عبد الرحمن سنة 1970م، ولقي فيما بعد قبولاً واستحساناً للدارسين بعده[31].

تعنى التداولية "بدراسة اللغة في سياقها؛ أي في الاستعمال أو التواصل، فقد أشار بعض العلماء إلى قول (أرمينكو) الذي رأى أن المعنى ليس متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا بالسامع وحده، وإنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد مادي، اجتماعي، لغوي، وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما[32]

وتتعالق التداولية مع أكثر من علم من علوم اللغة، منها تحليل الخطاب، واللسانيات البنيوية، وعلم الدلالة، والأسلوبية، ونظرية النحو الوظيفي، والبلاغة، واللغويات الاجتماعية، واللغويات النفسية... فتحليل الخطاب يلتقي مع التداولية في تحليل الحوار وتحليل الأفعال الكلامية[33] أما البنيوية وإن كانت ترى أن اللغة ظاهرة اجتماعية إلا أنها ترتكز على لسانيات اللغة، دون الاعتداد بنوايا

([27]) النورج، تحليل الخطاب السياسي في ضوء الاتصال اللغوي: (ص45).

([28]) الشهري، استراتيجيات الخطاب: (ص1/51–52).

([29]) الشهري، استراتيجيات الخطاب: (ص1/54).

([30]) للمزيد ينظر: روبول وموشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل: (ص28)

([31]) ينظر: صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: (ص27-28) . وعبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث: (ص244).

([32]) نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:(ص 14). ذكر مقبول إدريس أن "التداولية عرفت سابقا بأنها (قمامة اللسانيات)، وهذا يعني أن مهمة التداولية معالجة المشاكل اللغوية الهامشية، غير أن هذا الأمر قد تغيّر، وخصوصاً بعد محاضرات كرايس 1967م التي فتحت آفاقاً أرحب، وأنتجت أسئلة جديدة كانت مسوغاً للاعتراف بالتداولية، كأحدث بحث أفردته اللسانيات الحديثة، وهو البحث الذي يولي أهمية قصوى للشروط الخارج لغوية، المتعلقة بالسياق والمقام والمتكلمين ومقاصدهم وحيثيات الاستعمال والأفعال اللغوية.." ينظر: إدريس، البعد التداولي (ص245)

([33]) نحلة، آفاق جديدة: (ص10–11).

المتكلّم وسياق التلفظ، بينما التداولية ارتكزت على لسانيات الكلام، فهي تعد مكملة لها[34]. كما عدّت مكمّلة لعلم الدلالة الذي اهتمّ بدراسة بتفسير الملفوظات ومعانيها مع الإشارة إلى مقاماتها، وجاءت التوليدية لترتكز على مقومّات علم الدلالة لكنها ربطت مقاصد المتكلّمين بالمقام المناسب، معتمدة في ذلك على شروط نجاح العبارة الكلامية وإخفاقها مع مراعاة السياق التي وردت فيه[35]. وعلى الرغم من اهتمام الأسلوبية بتحليل النصوص الأدبية، وتبيان خواص الجملة الكلامية، إلا أنها لا تقف عند أغراض المخاطِبين، ولا تبين عن الاستراتيجيات الخطابية للنص، كما تفعل التداولية، وعليه فالأسلوبية تدرس الجوانب الجمالية للغة، والتداولية تدرس اللغة أثناء استعمالها[36]. ويذهب (سيمون ديك) إلى أن نظرية النحو الوظيفيّ يدرج ضمن نظرية تداولية واسعة[37]؛ كون الأولى تهتم بوظيفة اللغة الأساسية، وهي التبليغ والتواصل إلى جانب رصد الخصائص البنيوية للغة، بالإضافة إلى رصد خصائص التداولية والعلاقة التي تربط بين هذه الخصائص[38]. وبما أن البلاغة ترتكز على عنصري الاتصال: المتكلم والمتلقي في عملية الخطاب، وتبحث في كيفية استخدام اللغة بطريقة تضمن وصول قصد المتكلّم ومراده ثم التأثير في المتلقي، من خلال أدوات اللغة وتراكيبها المناسبة، ومراعاة مقتضى الحال أثناء الكلام[39]؛ فإنّ هذه الجوانب البلاغية المرتبطة بالخطاب تعدّ مؤشرات تداولية، فـ "البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلّم والسامع[40]". أما التداوليّة واللغويات الاجتماعية فكلاهما يبرزان أثر السياقات غير اللغوية في السمات اللغوية وتنوعها، كالعلاقات الاجتماعية بين المتخاطبين، ومرتبتهم، وجنسهم، وموضوع اهتمامهم[41]. وترتكز التداولية واللسانيات النفسية على قدرات المتخاطبين كالانتباه والذاكرة والشخصية التي لها تأثير على الكفاءة التبليغية للأفراد[42].

فالتداولية عند صحراوي مذهب لسانيّ يدرس علاقة النّشاط اللغويّ بمستعمليه، وطرق استخدام العلامات اللغويّة وكيفيّاتها بنجاح، والسّياقات والطّبقات المقاميّة المختلفة الّتي ينجز ضمنها (الخطاب)، والبحث عن العوامل التي تجعل من (الخطاب) رسالة تواصلية (واضحة) و(ناجحة)[43]. ويؤيّده (الأخضر) بأنها " أحد أهم المناهج اللغوية الحديثة، تداركت العديد من نقائص علم اللغة الحديث، إذ لم تكتفِ ببنية اللغة وحقائقها فحسب، بل دعت إلى دراسة وظيفتها التواصلية في الاستعمال[44]"، وتعلّل (شابي) بأنها تعنى بالنص الخطابي ضمن سياقه، وهو يؤدى دوره التواصلي، جامعاً بين قطبي العملية التواصلية المخاطِب والمخاطَب[45]. ويضيف (ربابعة ونزال) أن التداولية تحاول دراسة اللغة في المقام الّذي يهتم بما يفعله المستعملون بالألفاظ، وليس التركيب فقط... ويعدّ (موريس) أوّل من بادر إلى إرساء تعريف مقصود لمصطلح (التّداوليّة)؛ وخلاصة هذا التعريف هي أنّها دراسة اللغة أثناء ممارستها إحدى وظائفها الإنجازيّة والحواريّة والتواصليّة وهي دراسة ارتباط العلامات بمؤوليها أي: بمستعمليها[46].

([34]) مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور:(ص23). وبوقرة، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل الحديث: (ص67).

([35]) بوجادي، في اللسانيات التداولية: (ص127–130).

([36]) حباشنة، الأسلوبية والتداولية: (ص1).

([37]) بوجادي، في اللسانيات التداولية: (ص127) .

([38]) يحيى، نحو نظرية وظيفة النحو العربي: (ص81).

([39])العسكري، الصناعتين: (ص6).

([40]) لهويمل، التداولية والبلاغة العربية :(ص165).

([41]) نحلة، آفاق جديدة: (ص10–11).

([42]) نحلة ، آفاق جديدة: (ص11).

([43]) صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: (ص5).

([44]) الأخضر، المناهج اللغوية الحديثة: (ص91 بتصرف).

([45]) شابي، الأفعال الكلامية: (ص220).

([46]) ربابعة ونزال، العدول من الجملة الفعلية إلى الاسمية: (ص 4).

ويرى التداوليون أن وظيفتها تتمثل في الثلاثية: المرسل، والمتلقي، والوضعية التبليغية، فأي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤوّول فيه الجملة.[47] فالتداولية "تستند أساساً على مبدأ هام، وهو أنها لسانيات كلام... ورفعت دعوى الوظيفة أثناء تحليل الخطاب، وليس البنية اللغوية، ودعوى التواصل والاستعمال مقابل الثبات والجمود[48]" ومن خلال الدراسات الخاصة بمفهوم التّداوليّة نجد أنّها تُعنى بدراسة الأفكار والمعاني والألفاظ والمفاهيم والإشارات، وكلّ ما له علاقة بالاستعمال اللغويّ. ومن هنا تبدو قيمة البحث التّداوليّ.[49]

وبعدُ؛ فإنّ المقولة الخطابية التي ينتِجها المخاطِب تحمل رسالة ما إلى المخاطَب بما تحويه من أساليب لغوية ودلالية تتبنى ضمن سياقاتها، تبعاً لمقصدية المتكلّم، وتكشف عن استراتيجية محددة دون الأخرى؛ ليتم التفاعل بين أطراف الخطاب، فجاءت الدراسة تحلل هذه العناصر من منظور تداولي، في فئات الأسرة فحسب، متخذة القرآن الكريم نموذجاً.

الدراسة التطبيقية

مفاتيح في الدراسة التطبيقية:

قيّد النص القرآنيّ مقولات خطابية جمّة، وضع البحث يده على ما أنتجها أفراد الأسرة المتمثلة في: الزوج، الزوجة، الأخ، الأب، الابن، البنت. ارتأينا أن نصنف هذه الفئات إلى قسميْن أساسييْن، هما: خطاب الأنداد، وخطاب الأضداد؛ وقصدنا بالأول الخطاب الذي يتأتّى من العلاقة الاجتماعية المتحصلة بينهم، ونعني به: الزوج لزوجه، والأخ لأخيه؛ كون هذه الفئات تربطها علاقة اجتماعية متكافئة المستوى، فهي علاقة قرين بقرينه، لذا قد تتأتّى الندية بينهم، فالزوج قد يكون ندّاً لزوجته، كونهما قرينان، وكذلك الروابط التي تربط الإخوة فهي من باب الندية والتنافسية. أما الأضداد عكس الأنداد، إذ لا تتمثل العلاقة في هذه الفئة بالتنافسية والندية، بل ثمة مستويين اجتماعيين بينهما، وهي علاقة الأعلى بالأدنى، فالأب أعلى مقاماً عند الأبناء، والأبناء أدنى مكانة عند الآباء، فلا الأبناء ينظرون إلى الآباء بتنافسية، ولا العكس، وإن كانت العلاقة بينهم علاقة ودّ أو نفور، ويتمثل في خطاب الآباء والأبناء.

وسنقف على مقولاتهم الخطابية وحواراتهم وفق المفاتيح الآتية:

المقولة الخطابية: وهي الألفاظ الكلامية التي ينتجها المخاطِب.

طرفاها: أحدهما مُنتج المقولة الخطابية قاصداً ومؤثّرا، والآخر مستقبِل المقولة الخطابية متأثراً قولاً وعملاً.

سياقها: العامل الخارجي الذي أدّى لإنتاج المقولة الخطابية وفق أفعال اجتماعية ونفسية.

تحليلها: عملية التلفظ تتبنى على ما جاء من معطيات لغوية وتركيبية ودلالية: كالألفاظ المعجمية والأساليب اللغوية الخبرية والإنشائية، والإحالات الإشارية والضمائم.

قصدها: الهدف الإبلاغي من المقولة الخطابية، ودلالتها للتأثير في المخاطَب.

استراتيجياتها: الطرق أو الطريقة التي قيلت فيها المقولة الخطابية التي تحمل في طياتها كل ما تلفّظ به المخاطِب؛ لإيصال قصده منها، وهي كثيرة، قد تكون تصريحية، أو تلميحية، أو توجيهية...

أولاً– خطاب الأنداد (خطاب الأزواج، وخطاب الإخوة)

خطاب الأزواج: المتمثل في خطاب امرأة فرعون، وخطاب عزيز مصر لامرأته، وخطاب امرأة عزيز مصر له.

([47]) Enonciation de la subjectivité dans la language, p 185 –.

([48]) خلوفي قدور، مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني: (ص17–18).

([49]) أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة :(ص 56 . 57) .

المقولة الخطابية: ﴿قُرَّتُ عيْنٍ لِّي وَلَكَ، لا تَقْتُلُوهُ، عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾[50].

طرفاها: امرأة فرعون تخاطب زوجها فرعون ذا السلطة والجبروت.

سياقها: تولّدت المقولة الخطابية من امرأة فرعون وقت عثور جنود زوجها على طفل رضيع في اليمّ، وكان همّ فرعون أن يقتل من يولد ذكراً؛ لأنه عرف أنّ ثمة من أصلاب قومه نبيّاً سيأتي يهدّد ملكه، وينقاد قومه إلى الإيمان بدعوته.

تحليلها:

استفتحت خطابها بقولها: (قرّة عين)، وهي لازمة سابقة لخطاب استفتاحيّ، مثل: لو سمحت، لو تكرّمت، من فضلك، عذراً، يا حبيبي، أخي الكريم... وغيرها، إذ تدلّ هذه اللوازم على أفعال متضمنة كالتلهّف أو الاضطراب أو عدم الثقة أو التأدّب في إجابة الطّلب، فثمة معايير تتحكّم في الكلام في مثل هذه المواقف[51].

مالت إلى استخدام النهي المتضمن للتوسّل والالتماس، وأسلوب النهي أكثر لباقة وتأدّباً من فعل الأمر المباشر الذي قد يثير نَحيزة فرعون، فقالت: (لا تقتلوه)، ولم تقل: (أبقوه، دعوه يعيش)، فابتعدت عن أسلوب الأمر حتّى يُجاب طلبها.

استخدمت ضمير الجماعة (الواو) مع الفعل (لا تقتلوه)، فخاطبت زوجها هنا بصفة رسميّة كعادة من يخاطب صاحب السلطة؛ وذلك تعظيماً لشأنه، وتمجيداً لمركزه الاجتماعيّ بين قومه، لا سيّما أنّه أمام جنوده، وأنه صاحب السلطة والقرار، وهذا استراتيجية من استراتيجيات التأدّب.

استخدمت الحذف في الجملة الخبريّة المثبتة، فالكلام المحذوف يمكننا قراءته بعد قولها لا تقتلوه: (هذا الطفل الذي وجدوه جنودك سيكون قرّة عين لي ولك...)؛ من قبيل استراتيجية التلميح في رغبتها وشدّة لهفتها لاحتضانها أيّ طفل.

استخدمت العطف بين ضميريّ المتكلّم والمخاطب، فقالت:(لي) ثم قالت:(ولك) وهو ضرب من أساليب التفاعل والتواصل في الحديث المتداول، فكان لها أن تقول: قرّة عين وتكتفي، أو قرّة عين لنا. ولعلّ في ذلك وسيلة من وسائل الإقناع واستراتيجية ليستجاب طلبها، فهي تبتغي أن يكون هذا الطفل قرّة عين لها بداية، ثم أتبعت الضمير بالكاف الإشارية في (لك)؛ لتقنع زوجها، وتستميل قلبه في موضوع الأمومة.

أكثرت من الإحالات الإشارية والضميرية: (لي)، (لك)، (نا)، (ن: في نتّخذه)؛ مما يضفي تفاعلاً وتواصلاً على الحديث.

التعبير عن تقديم المنفعة المتحصّلة من وراء هذا الطفل بقولها:(عسى أن ينفعنا)، والمتضمن الطلب غير المباشر، فقد يكون عضداً ومسانِدا عندما يشبّ ويكبر؛ لأن الزوج يفكّر في المنفعة والمصلحة المتأتّيتيْن من الربائب.

استغلال حاجته الإنسانية بألفاظها المعجمية: (نتّخذه ولداً)، ففرعون لا ينجب، لذا تريد أن تستميل قلبه من تبنّيه، وتلبّي رغبتها الأنثوية المتمثّلة في الأمومة في الوقت ذاته، ولم تختر كلمة (ابن) في هذا السياق؛ فالابن لغة مَنْ كان مِن صلب الرجل والمرأة [52]؛ لذا لا تريد أن تستفزّه لمنقصة فيه.

قصدها: تبدّى من في خطاب الزوجة تلهّفها على هذا الطفل الملقى في اليمّ، وقد طار قلبها فرحاً لعثور الجنود عليه والإتيان به إلى بلاط فرعون، فأرادت أن تحصل على بغيتها، وأن ينفّذ طلبها، وأن ينصاع فرعون إلى رغبتها، ويستجيب لما ترنو إليه، فتحتضنه في كنفها، وتشعر بالشعور الإنساني الاجتماعي، وهو الأمومة، فمن الواضح أن مقصدها كان الطلب والالتماس والإقناع والتأثير.

استراتيجياتها: التأدب والتلميح.

المقولة الخطابية: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، عَسَى أَن يَنفَعَنَا، أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾[53]

([50]) القرآن، القصص: 9

([51]) هدسون، علم اللغة الاجتماعي: (ص 185 وما بعدها).

([52]) ابن منظور، لسان العرب: (مادة بنو).

طرفاها: عزيز مصر صاحب السلطة والجاه والمال لزوجته.

سياقها: اشترى عزيز مصر يوسف عليه السّلام وهو غلام من سوق النّخاسة، وأتى به إلى بلاط قصره، قدّمه لزوجته؛ طالباً أن تكرم مثواه، وتراعاه؛ لما قرأ في محيّاه أكثر من تعبير وبُغية.

تحليلها:

الابتداء بفعل الأمر المباشر الإلزامي :(أكرمي).

الاختصار في تقديم الطلب، والإيجاز في عرض قضيته أو فكرته، فقال لها: (أكرمي مثواه)، والمثوى لغة: الإقامة الدائمة المحمودة التي تهيّئ أسباب العيش الرّغيد[54]. ولم يقل لها: (أحسني إليه، أو قدّمي له الطعام والشراب والملبس والفراش، أو اطعميه وأسقيه، أو راعي طلباته ورغباته، أو ألبسيه وجمّليه... إنما اختصر وأوجز باستراتيجية اختيار لفظة معجمية:(مثواه). فتضمنت هذه الوصية إكرامه وحسن معاملته في كل ما يختصّ بإقامته، بحيث يكون واحداً من أهل القصر، ولا يكون كالعبيد والخدم، وعلّل ذلك بما يدلّ على أمله ورجائه فيه.

استخدام الفعل المتعدّي (أكرمي) المتضمّن الحركة والنشاط والاستمرار؛ لأن خطابه ينحو نحو الفعل والسيطرة.

إعطاء النتيجة بعد الأخذ بالأسباب اللازمة باستخدام استراتيجيته التوجيهية، فإكرام المثوى نتيجة حتميّة للمنفعة المتحصّلة وراء هذا الإكرام، فهو يفكّر بالسّند والعزوة والمصلحة، فقد تفرّس في وجه يوسف عليه السلام الأمر العظيم الذي سيؤول إليه هذا الغلام؛ فإذا ما أُكرم وعومل بالإحسان، وتُربّي في بيت العزيز؛ بيت الجاه والسلطان، فإنه سينصّب مكانة تؤازر سيّده في المستقبل المنشود، لذا قال: (عسى أن ينفعنا)، وقصد من ذلك كما جاء في تفسير المنار«القيام ببعض شؤوننا الخاصّة أو شؤون الدّولة العامة؛ لما يلوح عليه من مخايل الذّكاء والنّباهة[55]»

تقدير متطلّبات الزّوجة، ومتطلّباتها تكمن في الأمومة أوّلاً وآخراً، لذا حاول مراعاة حاجتها الإنسانيّة ومطلبها الاجتماعيّ من وجهة نظره، فقال لها بفعله الإنجازي: (نتّخذه –أنا وأنت– ولداً)، استخدم سابقة النون في الفعل المضارع الدالة على الجماعة؛ إشعاراً لها بالمشاركة ومحاولة إقناعها والتأثير عليها ليستجاب طلبه هذا تأويل. أما التأويل الآخر فإن صيغة الجمع في (نتخذه)؛ لأنه عزيز مصر، يخاطب الآخرين بهذه الصيغة، وهو فعل تداولي لأصحاب النفوذ وعظيمي الشأن.

قصدها: بدا خطاب العزيز لزوجته خطاباً آمراً مختصراً موجزاً؛ لرغبته في احتضان الغلام حين استحسنه وابتاعه لنفسه، ثم دفعه لزوجته؛ وذلك لتحقيق المنفعة المشتركة، والرّجاء من جلب المصلحة المشتركة بينهما في هذا الغلام، إذ دغدغ عواطف الأبوّة والأمومة بدءاً، ثم ما رجاه من أن يكون « قُرَّةَ عيْن لهما، ووارِثًا لِمَجدِهما وَمَالِهما، إذا تمَّ رُشده وصدقتْ فِراسَته في نَجابَته. وفُهِمَ مِنْ هذا الرَّجاء أنَّ العزيز لم يكن له ولد، وما كان يرجو أن يكون له، ورُوِيَ أنَّه كان عَقِيمًا [56]». ففعل الأمر في خطاب العزيز لزوجته جاء من مكانته الاجتماعية؛ فهو عزيز مصر أولاً، وهو زوج ثانياً، يُصدر القرارات، ويتحمّل المسؤوليّات؛ لذا مال إلى التعبير بهذه الاستراتيجية الآمرة منطلقاً من مكان القيادة في الدولة ثم في الأسرة.

استراتيجياتها: التصريحية المباشرة الآمر، والإيجاز في الطلب.

المقولة الخطابية: ﴿قَالَتْ: مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا! إِلاَّ أَن يُسْجَنَ، أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[57]

طرفاها: زوجة العزيز لزوجها عزيز مصر، صاحب السلطة الذي كشف حُجُب خيانتها مع ربيبهما.

([53]) القرآن، يوسف: 22

([54]) ابن منظور، اللسان: (مادة ثوى).

([55]) رضا، تفسير المنار: (ص 225/12).

([56]) رضا، تفسير المنار:(ص225/12).

([57]) القرآن، يوسف: 25.

سياقها: بعد مراودة امرأة العزيز يوسف عن نفسها واستعصم، ألفيا سيّدها لدى الباب من غير سابق إنذار، فأرادت أن تدافع عن نفسها، وتبعد تهمة المراودة عنها؛ لأنها في العرف الاجتماعي ستبدو أنها اقترفت ذنباً بحقّ نفسها، وحقّ زوجها، وحقّ بلاط العزيز.

تحليلها:

استفتحت خطابها بفعل غير مباشر وهو الاستفهام التّقريريّ (ما جزاء...؟)؛ تنصّلاً ممّا هي فيه بمكرها وكيدها، وقذْف يوسف بدائها، وتعريضاً له بالسّوء، فالمُباغتة والخيانة ألزماها استراتيجية (خير وسيلة للدّفاع الهجوم)، مثلما حدث مع هدهد سليمان عليه السلام في الدفاع عن نفسه، فقد هاجم سليمان بنبأ هجوميّ دفاعاً عن تغيّبه من الاجتماع المعقود من غير إذنه، فقال له:﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[58]، فكان فعلها هي كذلك دفاعاً وإقناعاً بأنها على صواب.

اختارت اللفظة المعجمية النكرة: (سوء) أي أي سوء يصيب؛ لتحريك الغيرة في نفس زوجها، وإيهامه بما يسوؤها يسوؤه، فقد«جمعت غرضيها، وهما: تبرئة ساحتها ممّا يلوح من ظاهر حالها، واستنزال يوسف عن رأيه فى استعصائه عليها وعدم طاعته لها، بإلقاء الرّعب فى قلبه، ولم تصرّح باسم يوسف بل ذكرته بلفظ عام –الاسم الموصول– (مَنْ) أراد بأهلك سوءا؛ تهويلاً للأمر، ومبالغة فى التخويف، كان ذلك قانون مطّرد فى حقّ كلّ من أراد بأهله سوءا[59]»، وكل ذاك من أجل الدفاع عن النفس، وإقناع المتلقّي بوجهة نظرها.

اللفظة المعجمية:(أهل)، وألحقتها بـ(الكاف) ضمير المخاطب «ذكرت نفسها بعنوان أهليّة العزيز– أهلك– إعظاماً للخطب[60]»

«جملة (إلا أن يُسجن أو عذاب أليم) معادلاً موازياً لخطاب الاستفهام (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) مغلقة الخطاب بعد أن أشربت الجملة الاستفهامية بالأمر السياقيّ الذي جاء بديلاً أسلوبياً للرّكن الثاني من الجملة الطلبية الاستفهامية[61]». وذلك لتحقيق الدفاع عن النفس، وإيهام المتلقّي ببراءتها، والاقتراح عليه بفعل السجن أو العذاب؛ إقناعاً وتأثيراً.

اللفظة المعجمية (السجن) بدلاً من عبارة (من المسجونين)؛ لأنها أرادت أن تكون مدّة سجن يوسف قصيرة، بسبب حبّها الشديد له، وتعلّقها به. ثم قدّمت ذكر (السجن) وأخّرت ذكر (العذاب)؛ فالمحبّ عادة لا يسعى فى إيلام المحبوب، وهذا يدلّ على اكتمال قدرتها على المكر والدّهاء، كي لا يسعى زوجها فى التّخلص منه بأيّ شكل لا ترغب فيه، كبيعه أو نفيه، وفي الوقت نفسه أوصلت رسالة إلى يوسف بأنّ أمره بيدها لا بيد زوجها، وأنّها هي الآمرة النّاهية، فعليه أن يخضع لمبتغاها، وإلّا فالسّجن أو العذاب الأليم هو مصيره المحتوم[62].

قصدها: نلمس خطاباً دفاعيّاً عن النفس؛ لإنفاء أصابع اتّهام زوجها لها –مع غلامه ذاته الذي دفعه مسبقاً لها ليتخذوه ولداً لهما– في موقف الخيانة الآنيّ، مشفوعاً بالتلميح بجملة طلبيّة باقتراح عقوبة تتواءم والفعل المرتكب في حقّها، ولكن بعقوبة ترتئيها، لا كما يريده العزيز كنفيه، أو بيعه، فيعاقبه بغير ما تريده له، فينفطر قلبها لبُعده عنها، فكان منها ما عزّز مقصودها.

استراتيجياتها: تلميحية دفاعية لفرض العقوبة ولقلب الحقيقة.

المقولة الخطابية: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ – يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا – وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[63]

طرفاها: خطاب العزيز في الردّ على زوجته المخطئة.

([58]) القرآن، النمل: 22.

([59]) الطنطاويّ، التفسير الوسيط :(ص345/7).

([60]) الطنطاويّ، التفسير الوسيط: (ص345/7).

([61]) الغرايبة، الجملة الطلبية في سورة يوسف: (ص399).

([62]) الطنطاويّ، التفسير الوسيط :(ص345/7)، رضا، تفسير المنار: (ص236/12).

([63]) القرآن، يوسف: 26–29.

سياقها: بعدما خاطبت امرأة العزيز زوجها ذاك الخطاب الدفاعيّ وقتما رآها وغلامه معاً في واقعة لا تُحمد عقباها، ثمّ ﴿شَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا: إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قال: إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ﴾[64]

تحليلها:

الإكثار من التّوكيدات الإنجازية، فوجّه كلامه إلى زوجته معاتباً إيّاها في الجملتين الاسميتين اللتين تدلان على ثبوتيّة الخطب عنده: (إنّه من كيدكنّ)، (إنّ كيدكنّ عظيم)، ولكنّه لم ينسب المكر والمكيدة لها وحدها، بل نسبها إلى بنات جنسها كلهنّ، وكأنّ هذا السلوك متفشٍّ عند مجتمع النساء، لاسيما في القصور الملكية[65]. وربّما أراد أن يخفّف وطأة الخيانة؛ لإشفاقه عليها من الفضيحة، فأجمع النساء معها في صفة المكيدة.

ضمير المخاطب المتداول للجمع: (كُنّ)؛ ليذكّرها بمنزلتها التي تُبنى عليها المسؤولية العظيمة، أمام الرعيّة والنسوة، ويبدو أنّ الكيد في المجتمع المخمليّ كثير لدرجة أنّه حكم عليها وعلى صويحباتها بذلك [66].

فعل الأمر المباشر:(استغفري لذنبك)، وألحق الفعل بياء المخاطبة لها، عكس ما ذكره سابقاً بصيغة الجمع في قوله:(كيدكن)؛ فهو زوجها أولا، والمسؤول عنها ثانياً، فأمَرَها بالاستغفار من ذنبها التي وقعت به، وأضاف (كاف) الخطاب؛ ليشعرها بالذنب الذي اقترفته هي بالذات، فالذنب ذنبها وحدها هنا، ثم أمرها بأن تستغفر؛ كونه العزيز «صاحب المنصب الكبير، فإنه يعالج ما يستلزم حسماً وجزماً في الحكم بهذا الأسلوب الهادئ البارد، شأنه شأن المترفين في كل زمان، الذين يهمّهم ظواهر الأمور دون حقائقها، وأشكالها دون جواهرها، فهو يلوم امرأته لوماً خفيفاً يشبه المدح، ثم يطلب من يوسف كتمان الأمر، ويطلب منها التّوبة من ذنوبها المتعمّدة»[67]، ويرى القرطبي أنّ في ذلك قولَيْن: أحدهما أنّ عزيز مصر لم يكن غيورًا، فلذلكَ كان ساكِنًا. وعدم الغيرة في كثير من أهل مصْر موجود. الثَّاني أنّ اللَّه تعالى سلبه الغيرة وكان فيه لطف بيوسف حتّى كُفِي بادرته وعفا عنه[68]. أمّا الطنطاوي فيذهب إلى أن هذا الموقف يعزى إلى تحكّم تلك المرأة بزمام زوجها، مما دفعها تقول بعد ذلك بكلّ تبجّح وتكشّف واستهتار: ولقد راودته عن نفسه فاستعصم، ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن، وليكونا من الصاغرين[69].

التعقيب بالتوكيد المباشر في ارتكابها خطيئتها، فذكر الجملة الاسمية المؤكّدة بـ(إنّ): (إنّك كنت من الخاطئين)، ثم الحكم عليها بالصّفة المشبّهة (الخاطئين)، ولم يقل (أنت خاطئة) أو (أخطأتِ)، فالفرق بيّن بيْن التصريفات، إذ تدلّ الصّفة المشبهة على الثبوت[70]، أي إثبات الخطيئة عليها، والوقوع في الخطأ المتكرّر، أما اسم الفاعل أو الفعل فيدّلان على ارتكاب الخطيئة مرة واحدة، أو في الموقف الذي ارتكبت به الخطيئة. ويرى الطنطاوي[71] أنّ جملة (إنّك كنت من الخاطئين) تعليل لطلب الاستغفار، والتّوبة مما حدث منها، فهي من جملة المتعمّدين لارتكاب الذّنوب، لكن جعْلها من جملة الخاطئين للتّخفيف عليها في المؤاخذة، فغلبة الرّياء الاجتماعي، وستر الظّواهر وإنقاذها؛ دفعته إلى هذا المسلك.

([64]) القرآن، يوسف: 26–29.

([65]) رضا، تفسير المنار :(ص12/27–238).

([66]) رضا، تفسير المنار: (ص12/27–238).

([67]) الطنطاوي، التفسير الوسيط :(ص7/347) .

([68]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (ص9/175).

([69]) الطنطاويّ، التفسير الوسيط: (ص7/349).

([70]) ابن مالك، شرح الكافية الشافية: (ص1/472). والحملاوي، شذا العرف: (ص75).

([71]) الطنطاون التفسير الوسيط: (ص 7/ 347).

قصدها: غلب على خطاب الزوج التّقريع والتوبيخ، المباشر: (إنك كنت من الخاطئين)، وغير المباشر في الأمر (استغفري لذنبك) للتوبيخ وإقرار فعل السوء المقترف عليها، (إنه من كيدكن...)؛ لمراجعة النفس بعدما حصحص الحقّ في شهادة ارتكاب زوجته الخطيئة، إذ راودت يوسف عن نفسها، وليس كما ادّعت.

استراتيجياتها : تلميحية وتصريحية باقتراف السوء.

خطاب الإخوة

المقولة الخطابية:﴿قَالَ [قابيل]: لَأَقْتُلَنَّكَ. قَالَ [هابيل]: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ* لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ؛ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ* إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ﴾[72]

طرفاها: حوار متبادل بين ابنيْ آدم (قابيل لهابيل)، ثم (هابيل لقابيل)

سياقها: دار الخطاب بين الأخويْن (هابيل) و(قابيل) حول قربان قدّماه، فتقبّل من الأول، ولم يتقبّل من الثاني.

تحليلها:

ابتداء (هابيل) بفعل القسم التصريحي (لأقتلنّك)؛ اللّام الموطّئة للقسم، ونون التّوكيد الثّقيلة، «تأكيد مُنبئ عن الإصرار، نابياً مثيراً للاستنكار؛ لأنه ينبعث من غير موجب»[73]؛ اعتداء وحسداً وغيرة .

ردّ (قابيل) على اعتداء أخيه بوداعة وحكمة، بأسلوب الحصر بـ(إنّما) الكافّة والمكفوفة؛ لاقتصار القبول على المتّقي، فاختار: (يتقبّل) و(من المتّقين)؛ توضيحاً إضافياً بأنّ دافع القبول عند الله هو الّتقوى، ولا دخل له بقبول القربان أو رفضه.

محاولة الأخ الحكيم إقناع أخيه الحاقد وردعه عن العمل الشّنيع في حقّ الأخوّة التي تربطهما بـ:

بفعل الشّرط التصريحي الموطّأ بلام القسم، والنّفي في جواب الشّرط (لئن بسطت...ما أنا بباسط)؛ إشعاراً له بأنّه لن يقابل الإساءة بمثلها.

ذكر (باسط يدك)، أي مادِدُها[74]، دليل على التّطاول والاعتداء، و الكاف الإشارية في (يدك)، إيعازاً بأنه هو المبتدئ، ولا يريد المشاركة في هذا الاعتداء بالرّدّ عليه باعتداء مثيل.

تقديم الضمير العائد على الكاف الإشارية في (لئن بسطت إليّ يدك)؛ تذكيراً بأنّ الفعل الإنجازي فعل مضمر مخطط له وهو: التّخلّص منّي أنا شخصياً مهما حاول الردع.

نفي الفعل المماثل: (ما أنا بباسط يديّ إليك)، والتّقديم والتّأخير في (يديّ) على (إليك): مراده إيصال رسالة لأخيه بأنّه مهما كان مسالماً فإنّ بسْط يديه قد تكون في أشياء أُخر، كالدّفاع عن النّفس، أو المسامحة أو السّلْم...إلخ

التّوكيد (إنّي أخاف...)، تذكيره بمخافة الله ربّ العالمين؛ لعلّه يثنيه عن القتل الذي أشبع قلبه به.

استخدم الفعلين المضارعين (تبوء، تكون) في الجملة الفعلية الدالة على الأحداث التي قد تؤول إذا لم ينثنِ الأخ عن قراره: (تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار)؛ وذلك لتحذيره وإنذاره بالجزاء الذي ينتظره إذا ارتكب جريمة القتل.

ذكر بعض العبارات والألفاظ المعجمية (تبوء بإثمي وإثمك)، (أصحاب النار)، (جزاء الظالمين) الّتي تدلّ على حكمته وضبط نفسه أولاً، والخوف على أخيه من المصير المشؤوم ثانياً.

قصدها: من الملاحظ أنّ ثمّة خطابيْن على طرفيْ نقيض بين ابني آدم، الأوّل منهما يعكس صورة الجُنح الدُّنيويّة كالحسد والحنق الدّفين والشّعور الخبيث والشّرّ الثّائر للطّرف الآخر؛ لأنّ الغيرة الحاقدة المُبيّتة تتحرّك أشواكها إذا ما سنحت الفرصة المواتية

(72) القرآن، المائدة: 27–29.

(73) قطب، الظلال: (ص 876/2).

(74) ابن منظور، اللسان: (مادة بسط).

لانفجارها، وتبدّى ذلك من ابتداء الخطاب التصريحيّ بنيّة القتل مستخدماً القسم المؤكّد بالنون الثقيلة. أمّا المقولة الخطابية المقابلة فكانت بالتوجيه فتراوحت بين الشرط ردّا على القسم، ثم التوكيد الدّال على المصير الذي قد يصاحب الأخ إذا أصرّ على القتل؛ ناصحاً ومرشداً، ثم الأفعال المضارعة للتحذير والتنبيه، فكان مردّ هذا الخطاب القيم المُثلى في نفس هابيل كالتُّقى والوداعة والسّلم والاتّزان والهدوء والحكمة والطّمأنينة وتقديم النصيحة وما تستدعيه لحمة النسب التي تربطه بأخيه.

استراتيجياتها: تصريحية بالقتل. قابله توجيهية بالردع.

المقولة الخطابية: ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي، وَأَصْلِحْ، وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[75]

طرفاها: هما النبيّان موسى قائد قومه العالم القوي، وأخاه هارون وزيره بليغ اللسان رقيق القيادة عليهما السّلام.

سياقها: مخافة موسى على قومه من الضلال إذا تركهم لمناجاة ربّه مدة تتجاوز الثلاثين ليلة، فترك قومه في خلافة أخيه هارون وكان وزيره بدليل ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[76]

تحليلها:

الابتداء باستراتيجية التوجيه من خلال: فعليْ أمر إنجازيين مباشرينْ:(اخلفْ)، و(أصلحْ)، ثمّ الفعل الإنجازي النّهي (لا تتّبعْ) وغرضه الأمر، ذا يدلّ على أنّ موسى له سلطة على أخيه هارون، يأمر وينهى؛ فالأقوى أو المسيطر من الأقران هم الذين يستخدمون هذيْن الأسلوبيْن على الأغلب، وكيف لا وموسى هو القائد، وهارون وزيره.

(اخلفني في قومي): طلب موسى من أخيه أن ينوب عنه في سياسته على قومه في غيابه، وذكر (ياء المُلكية) في كلمة (قومي)؛ دلالة على أنّ موسى هو خليفة عليهم، وأنه يهمّه أمرهم.

قصدها: الإيعاز بالحرص الشديد على القوم من الضلالة بإصدار الأوامر والنواهي لخليفته في قومه، وإن كان هذا الخليفة هو أخوه؛ تجنّباً لما يتوقّع حدوثه في ضلالة قومه بعد تركهم.

استراتيجياتها: تصريحية وتوجيهية.

المقولة الخطابية: قال موسى:﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا،أَلاَّ تَتَّبِعَنِ؟، أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي؟﴾[77] ﴿قال [هارون]: ابْنَ أُمَّ: إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي، وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي، فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاء، وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[78]. ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[79]

انبنى الحوار بين موسى ووزيره هارون على مقولتين خطابيتين:

المقولة الخطابية الأولى: (مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا،أَلاَّ تَتَّبِعَنِ؟، أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي؟)

طرفاها: موسى النبيّ القائد لوزيره هارون، ثمّ ردّ هارون عليه

تحليلها:

بالاستفهام المتكرّر: (مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا؟)، (أَلاَّ تَتَّبِعَنِ؟)، (أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي؟) جاءت الأفعال الإنجازية من وراء هذا الاستفهام غير المباشر للمساءلة والمحاسبة وللإنكار والتوبيخ والعتاب واللوم. فمن الملاحظ أنّ موسى ينكر على هارون عدم منع القوم

([75]) القرآن، الأعراف: 142.

([76]) القرآن، طه: 29–32.

([77]) القرآن، طه: 92،93 .

([78]) القرآن، الأعراف: 150.

([79]) القرآن، طه: 94.

عندما ارتضوا سبيل الضلالة[80] وكيف لا يحسم أمره فيهم مع أنّه خليفته في غيابه، وله سلطة عليهم، حتى أكّد تلك الاستفهامات بقوله: ألا تتبعني؟ أفعصيت أمري؟ من عدم اتّباعه، ومخالفة أمره في عدم تقريع القوم وزجرهم على ضلالتهم إذ ضلوا وانحرفوا.

قصدها: ينكر موسى على خليفته ما صنعه قومه من بعده، ويوجّه له العتاب واللوم والتوبيخ والتقصير، فلو كانت لهارون كلمة وسلطة على القوم لم يخالفوا أمره.

استراتيجياتها: استفهامية للمساءلة والمحاسبة.

المقولة الخطابية الثانية: (ابْنَ أُمَّ: إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي، وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي، فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء، وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)

طرفاها: هارون لأخيه موسى عليهما السلام

سياقها: وبّخ موسى أخاه هارون ولامه بصفته وزيره، ولكنه لم يغضّ النظر عن العلاقة الاجتماعية التي تربطهما، فجرّه من لحيته ورأسه جرّاء غضبه مما فعله قومه في غيابه واتّخاذهم العجل معبوداً؛ لأنّه لم يحفظ الأمانة الّتي ألقاه عليه، ووكّله بها في إنابته على القوم، وأنّه قصّر في ذلك، استنكر عليه واستهجن منه فعلته، فأراد هارون أن يبيّن المسوّغ الذي أودى بأمره.

تحليلها:

استفتح هارون خطابه باستراتيجية الاستعطاف، فبدأ بفعل النّداء المحذوف منه أداته :(ابْنَ أُمَّ)؛ لتذكيره بالعلاقة التي تربطهما، ثم اختار المنادى (ابنَ أمّ)؛ وذلك تقرّبا إلى قلب الأخ الحانق، واستمالته إليه، فالأمّ أقرب أوشاج الصّلات بين الأبناء، فهي تذكّر بالعاطفة والحنان والنّقاء والحنوّ والرّقّة... فما أراده هارون الفصيح من ذلك هو امتصاص غضب أخيه وتهدئته، وتذكيره بأنه أخوه مهما حدث من أمر، كما أنّ مرتبة هارون تقتضي عليه أن يخاطب من أعلى منه رتبة بأدب وإن كان أخاه. أمّا إذا استوى الخطابيْن على الهيجان كما يحدث بين الإخوة وقت الخلاف، فسوف يميل بهما الكلام مَيْله، ويجرّ بهما الجدال ذيْله، فقابل الإساءة بالحكمة.

استخدام استراتيجية التّوكيد: (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي، وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي)،(إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي)؛ وذلك للإقناع، منتقياً الألفاظ المعجمية الدّالة على حجّته: (استضعفوني) و(كادوا يقتلونني)، (خشيت)، (فرّقت)، (لم ترقب).

استخدام فعل النّهي الإنجازي: (فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء)، و(لاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)؛ وكان النهي للالتماس وموازنة الأمور، ولا يُؤخذ بجريرة الآخرين، فهو لم يصنع ما صنعوا.

اختار الألفاظ المعجكية التي تزيد استعطاف أخيه والتماسه وإقناعه وتذكيرخ وإرجاعه إلى رشده: (تُشْمِتْ) و(الأعْدَاء) و(الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، مع أنّ الأعداء والقوم الظّالمين الذين وصفهم هم قومه وقوم موسى.

قصدها: الدفاع عن النفس، وتقديم الأعذار، وإعادة أخيه إلى رشده.

استراتيجياتها: التأدب والتوجيه.

نلحظ من الحوار الذي جرى بين موسى وهارون: (مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا،أَلاَّ تَتَّبِعَنِ؟، أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي؟)(ابْنَ أُمَّ: إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي، وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي، فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء، وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أنّ موسى عليه السلام استخدم أساليب الأمر، والنهيّ، والاستفهام الإنكاري؛ والهدف الإبلاغي من ورائها هو التكليف، ثم المساءلة لتبيان الحقيقة، هذه الأساليب تتواءم والخطاب السُّلْطويّ لصاحب النفوذ والقيادة، بينما نجد الخطاب المقابل –خطاب هارون– يكثر فيه التوكيد والنهي والنفي؛ لأنه كان خطاباً دفاعيّاً مُستعطِفاً حتى يخرج من بوتقة الاتّهام والمساءلة، ومُرشِداً أخاه إلى صوابه في الوقت ذاته.

المقولة الخطابية: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ [إخوة يوسف] عَلَيْهِ [يوسف] قَالُواْ: يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ، مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ، وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ، فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا، إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ* قَالَ: هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ! قَالَ: أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي، قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا، إِنَّهُ مَنَّ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ* قَالُواْ: تَاللَّهِ، لَقَدْ آثَرَكَ

([80]) ابن الجوزي، زاد المسير: (مج3 ص107/5).

اللَّهُ عَلَيْنَا، وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ* قَالَ: لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [81]

نلحظ في المقولة الخطابية حوارات متعاقبة بين يوسف وإخوته، سنحللها في ستّ مقولات خطابية، كالآتي:

المقولة الخطابية الأولى: قَالُواْ: يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ، مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ، وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ، فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا، إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ

طرفاها: يوسف عزيز مصر وإخوته، ينبني هذا الخطاب على شقّين: أوّلهما خطاب الأخوة لعزيز مصر وهو يوسف، وثانيهما ردّ العزيز على خطابهم.

سياقها: لمّا يعلم إخوة يوسف بعدُ أنّ هذا العزيز الذي قدموا إليه يكتالون منه ويتبضّعون هو أخوهم يوسف الذي سبق وأن تآمروا عليه وهو غلام.

تحليلها:

ابتدأ الإخوة خطابهم بفعل النّداء (يا أيّها العزيز)، أداته (يا) ، والمنادى (أيّها) و(العزيز)، وهذا اللون من النداء متداول في الأعراف الاجتماعية تعظيماً لشأن المحاطَب، واستراتيجية دالة على التأدّب في حضرة أصحاب المقامات، فهم يخاطبون ذا منزلة رفيعة بيده أقوات يريدون الحصول عليه؛ ولتعزيز مقصدهم في الخطاب وهو "الالتماس والرّجاء لتلبية مطلبهم"[82].

انتقاء الألفاظ المعجمية:(مسّ)، و(أهلنا)، و(الضّرّ)، فلكل كلمة لها مدلولها الخاصّ في خطابهم، فـ(المسّ) لغة مسك الشيء باليد[83]، والمراد شدة ما أصابهم من القحط حتى جعلوه محسوساً؛ لاستمالة قلب العزيز واستعطافه لحالهم الذي ألحقهم وأهليهم، من نساء وعيال ومسنّين، أما (الضرّ) كما وصفه ابن منظور ضد النفع من هزال وسوء حال وفقر أو شدة في البدن[84]، وفي هذا المقام إشارة إلى الجوع وما ينتج عنه من ضعف قوة وهوان في البدن والهزال، فقد أحلّت بهم سنون القحط.

استخدام اللفظة المعجمية (مُزجاة)، وهي البضاعة الكاسدة أو الرديئة (ابن منظور، اللسان: زجي)، يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها، وفسّرها الزمخشري على أنها من متاع الأعراب صوفاً وسمناً، أو دراهم زيوفاً لا تؤخذ إلا بوضيعة[85]، وأرى أنهم أرادوا بذلك تأكيداً على الضرّ الذي مسّهم، فكأنّ الدروب أغلقت أمامهم، حتى ما عادوا يتكسّبون ويسترزقون.

الطلب المباشر بفعل الأمر(تصدّق)؛ لكي يرقّ لهم قلبه، وتمتلكه الرحمة عليهم، بعد أن طلبوا منه بفعل الأمر (أوفِ) لنا الكيل الذي اعتبروه حقّهم، فجاء الفعلان بصيغة الأمر للرجاء والتوسل والتمسكن لمن يملك أمرهم، ويأخذوا منه مبتغاهم.

الإطناب في طلبهم باستخدام التوكيد في الجملة الخبرية المؤكّدة (إن الله يجزي المتصدّقين)؛ وخبرها الجملة الفعلية، وانتقاء الفعل المضارع، دلالة على استمرارية الجزاء للمتصدقين، وما بال أن يكون من تصدق عليهم العزيز نفسه، فعزيز مصر غنيّ عن مثل هذا الخبر، إلا أن الملاحظ من أسلوبهم وكلماتهم المعجمية المختارة في هذا السياق ليتواءم وغرضهم الخطابيّ في إقناع العزيز واستمالته من توسلهم ورجائهم؛ حتى يجاب لهم المطلب.

قصدها: الإقناع بالتوسل والتمسكن في طلب الكيل.

استراتيجياتها: تصريحية للطلب، وتلميحية بالضرّ الذي لحقهم من جراء القحط.

المقولة الخطابية الثانية: (هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ!)

طرفاها: يوسف عزيز مصر لإخوته

([81]) القرآن، يوسف: 88–93.

([82]) الطبري، جامع البيان: (ص234/16).

([83]) ابن منظور، اللسان: (مادة مسس) .

([84]) ابن منظور، اللسان العربي: (مادة ضرر). والمعجم الوسيط: (مادة ضرر).

([85]) الزمخشري، الكشاف: (ص 480/2).

سياقها: لم يستطع أن يراهم على هذه الحالة من المسكنة والتذلل في طلبهم جراء ما أصابهم من ضرّ هم وأهلهم بسبب القحط الذي عمّ البلاد، فكان الردّ عليهم.

تحليلها

الرّدّ عليهم بالاستفهام غير المباشر:(هل علمتم ما فعلتم بيوسف؟) والاستفهام هنا للتقرير والمكاشفة والإخبار، فهو بهذا «كلّمهم مستفهماً عن وجه القبح الذي يراعيه التائب، لأن علم القبح يدعوهم إلى الاستقباح، والاستقباح يجرّ إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم، وتنصّحاً لهم، لا معاتبة ولا تثريباً[86]». لكن القرطبي يرى أنّ الاستفهام جاء للتذكير والتوبيخ[87].

أثنى على استفهامه بالجملة الخبرية (إذ أنتم جاهلون)، ويحللها الزمخشري بقوله:«وأراد بذلك تلطفه بهم، والاعتذار عنهم، لأن فعل القبيح على جهل، بمقدار قبحه؛ أسهل من فعله على علم، ولو ضربوا طرق الاعتذار لم يلفوا عذراً كهذا[88]».

قصدها: الشفقة عليهم، والتلطف بحالهم، والتنصح لهم.

استراتيجياتها: تلميحية بالاستفهام، وتوجيهية للتوكيد.

المقولة الخطابية الثالثة: (أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ!)

طرفاها: الأخوة لعزيز مصر وهو ذاته أخوهم يوسف

سياقها: ردّ الأخوة على العزيز بعد معرفتهم أنه هو أخوهم يوسف عينه الذي ألحقوا به الضرر في صغره.

تحليلها

(قالوا: أإنّك لأنت يوسف): الردّ بالاستفهام يتضمّنه التوكيد، فابتدؤوا بهمزة الاستفهام مقابل أسلوب الاستفهام (هل علمتم..؟)، إذ فهموا من استفهام العزيز لهم أنه يوسف، بيد أنهم تردّدوا عليه، وقابلوه، لكنهم ما عرفوه قبلُ، ومع هذا فهو يعرفهم ويكتم خبره عنهم، لهذا كان الخطاب على سبيل الاستفهام للتعجّب.

استخدموا الجملة الخبرية المؤكّدة بـ(إنّ)، و(اللام المزحلقة) الداخلة على الخبر التي تفيد التوكيد كذلك، فمن اللحظة التي بانت لهم صحّة ما عاينوه عن أخيهم يوسف، وتكشّفت لهم حقيقته؛ أرادوا أن يؤكّدوا لأنفسهم أنّه أخوهم، ربما من علامات أو سمات تبيّنت لهم، وكأنّهم يقولون: (هل أنت يوسف؟ بلى، أنت يوسف عينه)، فاختصروا ذلك بعبارتهم تلك التي تحمل في طيّاتها عناصر المفاجأة والتعجّب والتوكيد.

قصدها: التعجب من المفاجأة التي صرّحها إليهم عزيز مصر بأنه أخوهم يوسف.

استراتيجياتها: التأدب بالاستفهام مقابل الاستفهام

المقولة الخطابية الرابعة: (أَنَاْ يُوسُفُ، وَهَذَا أَخِي، قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا، إِنَّهُ مَنَّ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).

طرفاها: يوسف العزيز لإخوته.

سياقها: ردّ الأخ على أخوته بعدما تبيّن لهم أنّ العزيز هو أخوهم يوسف.

تحليلها:

جاء ردّ يوسف على استفهامهم وتعجبهم بعد أن عرفوه بـ (أنا يوسف، وهذا أخي): الجملتان الخبريتان اللتان تندرج تحتهما الخبر الذي لا مناص من الشّكّ فيه حينها، وهو بذلك ردّ على استفهامهم، مع أنهم عرفوه، إلا أنه استزادهم على اليقين يقيناً.

([86]) الزمخشري، الكشاف: (ص 481/2).

([87]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (ص246).

([88]) الزمخشري، الكشاف :(ص481/2).

زاد على قوله: (قد منّ الله علينا)، استخدم (قد) مع الفعل الماضي (مَنّ)؛ لتحقيق الفعل، فأراد يوسف عليه السلام أن يخبر إخوته بأنّ فقدانهم يوسف وأخيه كان (منّة) من الله عليهما بالخير والصلاح، لذا اختار اللفظة المعجمية (منّ)، والمنّ لغة هو العطاء الكثير والإحسان في العطية، أو الفضل الذي يزيد عن النعمة[89]

استخدم التوكيد في الجملة الشرطية (إنّه من يتقِ ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين)[90]؛ وذلك لبيان عبرة خفية من وراء خطابه لهم، فعُقبى التقوى والصبر حصلا عليه.

قصدها: نفي الشكّ باليقين، والإشارة إلى عواقب أفعالهم والدعوة إلى النظر في عاقبة فعله هو وأخيه.

استراتيجيتها: تصريحية للمواجهة، وتوجيهية.

المقولة الخطابية الخامسة: (تَاللَّهِ، لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا، وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ)

طرفاها: الأخوة لأخيهم يوسف

سياقها: الاعتراف بعاقبة أمرهم بعدما وجههم يوسف بها.

تحليلها:

جاء ردّهم على توكيده بعدّة توكيدات:

بدؤوها بالقسم (تاللهِ)، ثم بحرف (قد) مع الفعل الماضي الذي يفيد التحقيق، والكلمة المعجمية (آثرك) تعني يخص الخير له من دونهم[91]؛ إشارة إلى الفضل الذي أصاب يوسف ولم يصبهم، فاصطُفي لينال ما هو عليه، وأكّدوا ذلك بالكاف الإشارية.

استخدموا التوكيد (إن) و(اللام المزحلقة) وكلمة (خاطئين)؛ اعترافاً بخطئهم الذين ارتكبوه في حقّ يوسف وأخيهم.

قصدها: الاعتراف بفضل يوسف عليهم، والاعتراف بخطئهم الذي اقترفوه بحق أخيهم، لتوقعهم بأن يلحق بهم القصاص بعدما تبيّنت أكاذيبهم السالفة وأفعالهم.

استراتيجياتها: التأدب والتصريح بالفضل والذنب.

المقولة الخطابية السادسة: (لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)

طرفاها: يوسف لإخوته

سياقها: فهم يوسف مقصدية إخوته بعد اعترافهم بالإثابة التي نالها، والعاقبة التي أصابتهم وتوقعهم بعقوبة سيوقعها عليهم جرّاء ما فعلوه به، إضافة إلى أنه الآن العزيز صاحب السلطة بيده أمرهم.

تحليلها:

الابتداء بالنّفي (لا تثريب) بالعفو والصفح، إذ لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع ولا لوم ولا عقاب وإن كان وقت ذلك، فما فعلوه بيوسف جرائم فظيعة (عدم الرّأفة به، وألحقوا به الضرر وهو صغير فألقوه في البئر، وقطعوا الرّحم فأبعدوه عن أبيه وعائلته، وعقّوا والديهم، وكذّبوا عليه، وغدروا الأمانة)، وقد راعى بهذا القول حرمة الأخوة بالصّفح والعفو كما جاء عن الزجّاج[92]

ثم أتبع نفيه بالفعل المضارع (يغفر الله لكم) الدّال على استمرارية المغفرة لهم، سواء أكان في هذا الوقت الذي هم فيه ضعاف ذليلو الحاجة، أو في المستقبل بعد أن يقضوا حاجتهم منه، فهو نبيّ من سلالة أنبياء، فما كان منه إلا الدّعاء لهم بالمغفرة.

([89]) ابن منظور، اللسان: (مادة منن) .

([90]) البرماوي، شرح الصدور: (ص 76–77).

([91]) ابن منظور، اللسان: (مادة أثر).

([92]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (ص258/9).

ختم قوله بجملة اسميّة مثبتة (وهو أرحم الرحمين)؛ لبيان رحمته تعالى به وبهم، وهذا برهان آخر على صفحه عنهم.

قصدها: الصفح عند المقدرة وقد حانت، وتهدئة نفوسهم.

استراتيجياتها: تصريحية بالعفو والمسامحة.

تعدّدت أساليب الخطاب بين يوسف وإخوته، فمال يوسف إلى استخدام الجمل الخبرية لإثبات الحقائق، والاستفهام للمكاشفة، والنفي للمسامحة، والشرط للاتّعاظ. فأساليب يوسف اللغوية عكست خطاب مَنْ له يد طولى وصاحب مَكَنة وأمر على الآخرين. أما الإخوة فاستخدموا أسلوب النداء للبعيد، وأسلوب الأمر للرجاء والالتماس، والجمل التوكيدية: كالقسم، وإنّ واللام المزحلقة، والاستفهام للبيان ما أُغلق عليهم، والاعتراف بالخطأ والذنب، تلك الأساليب ومقاصدها تبيّن أن من يستخدمها يكون في حاجة لتنفيذ طلبه ممن هو أعلى منه منزلة.

ثانياً– خطاب الأضداد (خطاب الآباء والأبناء)

ما نجد خطاباً للأبناء في القرآن إلا قرنه خطاباً مع الآباء، رصدت الدراسة مقولاتهم الخطابية في أطراف الخطاب: ابنة شعيب لأبيها، إبراهيم وأبيه، يوسف وأبيه، نوح وابنه، إبراهيم وابنه إسماعيل عليهم السلام، وكثرت بين يعقوب عليه السّلام مع أبنائه في مواقف متغايرة [93]. نحلّلها في الآتيّ:

المقولة الخطابية ابنة شعيب لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ، اسْتَأْجِرْهُ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[94]

طرفاها: ابنة شعيب لأبيها.

سياقها: جاء في بعض التفاسير[95] أنّ إحدى ابنتي شعيب عليه السّلام أشارت على أبيها – الطّاعن في السّنّ، الواهن عن القيام بالعمل وحمل الأثقال والرعيّ– باستئجار موسى عليه السّلام عندما رأت قوّته ومروءته وشهامته في سقيّ رعائها، ليكفيها وأختها مؤونة العمل والاحتكاك والتبذّل.

تحليلها:

الابتداء بالنّداء (يا أبتِ)؛ أداة النداء (يا) للفت انتباه الأب لمقولتها، والمنادى (أبتِ) يرى ابن يعيش أن التاء للتأنيث بمنزلة التاء في قائمة وامرأة، ويستدل بقول سيبويه عن الخليل[96].والتاء كما ذكر عن ابن مالك أنها عوض عن الياء[97]؛ وهذه استراتيجية متداولة عند الأبناء لمناداة آبائهم، ولا ينادونهم باسمائهم الصريحة، فنادته تحبّباً وتقرّباً؛ والنّداء يسترعي الاهتمام بمضمون الخطاب وتنبيه إسماع المُنادى، وكذلك للتّنويه بشأن الكلام الوارد بعده فعل الأمر المباشر: (استأجره)؛ توجيه طلبي لحصول المنفعة المتبادلة بين المستأجِر والمُستأجَر، والإحالة بالضمير (الهاء) من غير ذكر اسمه؛ تأدّباً في حضرة أبيها، وتخصيصاً لاستئجاره هو بالذات.

التّوكيد في عرض اقتراحها (إنّ خير...)؛ لتعزيز رأيها.

توظيف (تاء) المخاطب في الفعل (استأجرتَ)؛ للتأكيد على المنفعة المتحصّلة للأب.

اللفظتان المعجميتان: (القوي) و(الأمين)؛ تعزيزاً لطلبها، وزيادة في الإغراء للموافقة على العرض المقترح، فإنَّ قُوّة الرّجل وأمانته يلْفِت نظر المرأة فتُعْجَب به من خلالهما، كما يلفت نظر أبيها إلى قوته في العمل، وإلى أمانته، فمن كان أميناً على العِرض كان أميناً على ما سواه.

([93]) وقفت الدراسة على بعض المقولات الخطابية بين يعقوب وأبنائه لأنها كثيرة، تحتاج ليفرد لها بحث خاص بها.

([94]) القرآن، القصص: 26.

([95]) الزمخشري، الكشاف: (ص3/389–390). قطب، الظلال: (ص 5/2687).

([96]) ابن يعيش، شرح المفصل: (ص2/11).

([97]) ابن مالك، شرح الكافية الشافية :(ص2/20) .

مقصدها: إغراء الأب في الموافقة على استئجار موسى للحصول على المنفعة المتبادلة.
استراتيجياتها: التأدب، والتصريح بالطلب.

المقولة الخطابية بين إبراهيم وأبيه: ﴿يَا أَبَتِ، لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا؟! * يَا أَبَتِ، إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ، فَاتَّبِعْنِي؛ أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ، لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ، إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ، فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ: أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي، يَا إِبْرَاهِيمُ! لَئِن لَّمْ تَنتَهِ؛ لَأَرْجُمَنَّكَ، وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ: سَلامٌ عَلَيْكَ، سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي، إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[98]
تتجلى في حوار متعاقب بين إبراهيم وأبيه آزر، سنحللها في ثلاث مقولات خطابية، كالآتي:
المقولة الخطابية الأولى: (يَا أَبَتِ، لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا؟! * يَا أَبَتِ، إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ، فَاتَّبِعْنِي؛ أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ، لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ، إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ، فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا).
طرفاها: خطاب النبي إبراهيم عليه السّلام مع أبيه المشرك بدعوة ابنه، المتحيّز لصناعة الأصنام وعبادتها.
سياقها: شفقة إبراهيم على أبيه، فأبوه يعبد ما يصنع، وهذه الأصنام لا تحرّك ساكناً، نفعاً أو ضرّاً، فأراد هدايته إلى عبادة التوحيد، وتوجيهه بعدة أساليب ليغضّ الطرف عنه، ويتجنّبها.
تحليلها:
ابتدأ خطابه بالنّداء (يا أبتِ)، وهذا طريق من طرق الخطاب أو استراتيجيتها بين المتخاطبيْن؛ للتّواصل والتّقارب والتّفاهم، وقد كرّره إبراهيم عليه السلام أكثر من مرّة؛ لتوصيل رسالته لأبيه، وجذب سمعه له في كلّ خطاب يطلبه منه، والتأكيد على أواصر العلاقة بينهما، فهو أبوه مهما اختلفت عقائدهما ويرى الزمخشري[99] أن هذا التكرار للتوسل والاستعطاف.
(لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً؟) ذكر اعتراضه على عبادة أبيه بالاستفهام الإنكاريّ، وهذا من باب الأدب، فلم يقل له مباشرة إنك أخطأت بعبادتك ما لا يسمع ولا يبصر، مع أنّه نبيّ، وهذا يدلّ على إنسانيّته قبل كلّ شيء، فالمخاطَب هو أبوه.
أكّد على حقيقة علمه بـ (إنّ) و(قد) فيما لم يَعلمه أبوه، ولم يقل له: أنت جاهل وأنا عالم، أو أنا أعرف وأنت لا، من باب الخطاب المتأدّب أيضاً.
(اتّبعني)، (أهدك): طلب من أبيه اتّباعه بفعل الأمر وجواب الطلب الدّالين على الطّلب والرّجاء، واستخدم الضمير العائد إلى الأنا في فعل الاتّباع، والكاف الإشارية المخاطبة في فعل الهداية؛ رغبة في الإقناع، والتواصل الحميميّ بين الابن وأبيه.
الألفاظ المعجمية الفعلية والمفعولية: (أخاف)، و(يمسّكَ)، (وليّا)؛ وسيلة من وسائل الترهيب غير المباشرة من عذاب الله؛ حرصاً منه على إقناع والده بالنتيجة التي يعرفها من الشرك بالله، واتّباع الشيطان وولايته ومغرياته.
استحضر الطباق بين اللفظتين المعجميّتين: (الرحمن) و(الشيطان)؛ فالرحمن يمثّل القيم الرّفيعة والمبادئ العليا، والشّيطان يمثّل الشّهوة والغريزة والنّزوة والنّتيجة الدّنيا.
قصدها: الرّأفة والإشفاق والتودد للانثناء عن المعتقد الضّالّ، وتقديم النصائح.
استراتيجياتها: التأدب في الطلب.
المقولة الخطابية الثانية: (أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي، يَا إِبْرَاهِيمُ! لَئِن لَّمْ تَنتَهِ؛ لَأَرْجُمَنَّكَ، وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا).

([98]) القرآن، مريم: 42–46.
([99]) الزمخشري، الكشاف: (ص14/3).

طرفاها: آزر لابنه إبراهيم عليه السلام.

سياقها: انزعاج آزر من خطاب ابنه في نبذ عبادة الأصنام.

تحليلها:

(أراغب...؟): الرد باستفهام إنكاريّ للتّعجب من ابتعاد إبراهيم عن الآلهة التي يقدّسها الأب، ولفظة (راغب) اسم الفاعل؛ ليبيّن له مدى ابتعاد الابن عمّا يعبده الأب ويعتنقه، ثم إلحاق ياء المتكلم بـ (آلهتي)؛ إصراراً على ملكيّة آلهته المعبودة وأهميتها عنده، كما قدّم الخبر (راغب) على المبتدأ لأنه أهمّ عنده كما يقول الزمخشري([100]) ويعلل ذلك بان فيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد".

لم يكن الردّ على نداء الابن بمثله كأن يقول له (يا بنيّ) مقابل (يا أبت)، بل ناداه باسمه (يا إبراهيم)؛ إشارة إلى غضبه منه، وتنبيهه هو بالذات على ما سيأتي من خطاب.

(لئن لم تنته لأرجمنّك...): الشّرط بعدم الكفّ سيؤول إلى عقوبة رجمه.

التوكيد بالمضارع المسبوق بلام الّتوكيد والملحق بنون التّوكيد الثّقيلة (لأرجمنّك)؛ تأكيداً جازماً على قراره تجاه ابنه المخالف له، فكلمة (أرجم) تضمّ العقاب الوخيم الذي سيلحقه ابنه من جرّاء فعلته، وأنّه هو نفسه (الأب) الذي سيقوم بعملية العقاب أو الرّجم جرّاء عصيانه.

قصدها: التّوبيخ والكفّ والتهديد والأمر بالهجران.

استرتيجيتها: تصريحية بالتهديد والعقوبة.

المقولة الخطابية الثالثة: (سَلامٌ عَلَيْكَ، سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي، إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا)

طرفاها: إبراهيم لأبيه

سياقها: ردّ إبراهيم على أبيه بعد تهديده بعقوبة الرجم إن لم يكفّ عن الاستهزاء بآلهته، وأمره بالهجران.

تحليلها:

(سلام عليك)، جملة اسمية مثبتة؛ للدعاء له بالسّلم والمسالمة، وسلام هجران ومفارقة، وقيل سلام برّ ولطف([101])، بعدما قدّم له وسائل الإقناع، ولم تأتِ بنتيجة إيجابيّة، ويرى الزمخشري أنه دعا له بالسلامة من باب الاستالة، ألا ترى أنه وعده بالاستغفار([102])، ويرى قطب أنه ردّ حتى لا يكون جدالا ولا أذى ولا ردّا على التهديد والوعيد([103]).

(سأستغفر لك ربي): من قمّة أدبه مع أبيه لم يسبّه، أو يغضب عليه، أو يتمنى له الشرّ وعاقبة السوء، فقد رجا له السّلامة، وأشفع ذلك باستخدام سين التسويف في فعل الاستغفار وطلب التّوبة، وكأنّه نوع من الوعد والرّجاء والتّحبب.

(لكَ) و(ربي): ضمير الأنا مقابل كاف الإشارية المخاطبة؛ لترقيق قلب والده، وأنّه مازال يحفظ العلاقة الأسريّة التي تجمعهما معا.

قصدها: المفارقة بالمسالمة، والرجاء بالغفران.

استراتيجيتها: التأدب والتهذّب في الافتراق، والوعد بالاستغفار مقابل القسوة .

المقولة الخطابية بين نوح وابنه: ﴿يَا بُنَيَّ، ارْكَب مَّعَنَا، وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ* قَالَ: سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء. قَالَ: لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ. وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ، فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [104] تتمثل في المقولات الثلاثة:

([100]) الزمخشري، الكشاف: (ص19/2).

([101]) الزمخشري، الكشاف: (ص20/2) ، والبغوي، معالم التنزيل: (ص166/3) .

([102]) الزمخشري، الكشاف: (ص20/2) .

([103]) قطب. الظلال: (ص2312/4) .

([104]) القرآن، هود: 42–43.

المقولة الخطابية الأولى: (يَا بُنَيَّ، ارْكَب مَّعَنَا، وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ)

طرفا الخطاب: خطاب نوح عليه السّلام مع ابنه المخالف له في المعتقد والمعتنق.

سياقها: عندما أتى أمر الله بإغراق قوم نوح، ونجاة سفينته ومن تبعه؛ أشفق نوح عليه السّلام على ابنه الذي ارتضى أن يكون في عزلة عن أبيه، غير آبه بكبده المحترق عليه.

تحليلها:

ابتدأ بالنّداء: (يابني)، (يا) هنا للتنبيه وللبعيد، المنادى (بُنيّ)، تصغير من (ابني)، ومن أغراض التصغير تقريب المنزلة كما جاء عن الحملاوي([105]) بالتحبّب والتّقرّب، فما بلكم من قلب أب حانٍ، وجاء أسلوب النّداء على هذا المنوال لتحريك المشاعر، ودغدغة العواطف؛ لعلّ ابنه يستجيب لما يدعوه له.

(اركبْ معنا): الأمر المباشر، أتبعه (معنا) المعيّة وضمير المتكلمين؛ لإنقاذ ما يمكن في ساعة لا يمكن ردّها، ومن أحقّ بالإنقاذ أكثر من الابن!

(لا تكن من الكافرين): النّهي والغرض منه الأمر؛ حتّى يقنعه –إن استطاع– بما يؤمن به، فنوح يحاول الإقناع حتّى اللحظة الأخيرة؛ علّ هذا الابن يؤوب إلى رشده، ويستجيب لحالة الإشفاق التي تعتصر قلب أبيه.

قصدها: إشفاق الأب على ابنه من مصير هالك، والنصيحة بالإقناع للردع.

استراتيجياتها: طلبية آمرة ناهية.

المقولة الخطابية الثانية: (سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء)

طرفا الخطاب: ابن نوح لأبيه

سياقها: ردّ ابن نوح مقابل النصيحة والردع.

تحليلها:

(سآوي)، ابتدأ خطابه رادّاً على أبيه بالفعل المضارع مع سين التسويف، وكلمة (سآوي) لغة: أحتمي وأنزل فيه، وأشمل برعايته([106])، وهذا الفعل مع السين التسويف يشير إلى الشروع في الأمر، رغم أنّ الظروف المحيطة به لا تحتمل تأجيله أكثر من ذلك.

انتقى كلمة (جبل)؛ ولم يقل بيت أو مكان أو شخص، ربما كان البيت في هذه الآونة أنّ ليس مكاناً للإيواء، لا سيّما عند رؤيته للأمواج التي أصبحت تعلو كالجبال، فلجأ إلى ما هو أعلى من البيت.

(يعصمني من الماء): جملة فعلية فعلها مضارع، وهي واصفة للجبل، فمطلب الحماية بل العصمة التي أرادها كانت مآلاً إلى تهكّمه من الموقف، ومكابرته وعدم تصديقه بأنّ الماء سيغرقه.

قصدها: التهكّم والعناد وعدم التّصديق والمكابرة والغرور بالفتوة.

استراتيجياتها: تصريحية.

المقولة الخطابية الثالثة: (لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ)

طرفاها: رّد نوح على ابنه

سياقها: ما كان من نوح عليه السلام بعد موقف العناد والتهكّم الآنف ذكراً إلا اللجاجة حتى الرمق الأخير، ومعه بصيص أمل، علّ هذا الابن المعتدّ برأيه يتغيّر

([105]) الحملاوي، شذا العرف: (ص112) .

([106]) المعجم الوسيط: (مادة أوي).

تحليلها: لم يستخدم في الإقناع بعد إلا أسلوب الاستثناء؛ لأن الأمر حال بين مرادهما أسرع مما ظنّان، ويرى الزمخشري[107] أن المراد بالنفي للتعريض بعدم عصمة الجبل، وبالمثبت التعريض بعصمة السفينة.

قصدها: الانثناء عن العناد، والتوسل والاستجابة للهفة الأب، فلا عصمة من المحتوم إلا بأمر الله ورحمته.

استراتيجياتها: تصريحية للإقناع وتغيير الرأي.

المقولة الخطابية بين إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السّلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فَانظُرْ مَاذَا تَرَى؟ قَالَ: يَا أَبَتِ، افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[108]

المقولة الأولى: : يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فَانظُرْ مَاذَا تَرَى؟

طرفاها: إبراهيم لابنه إسماعيل– عليهما السلام–.

سياقها: لما بلغ إسماعيل حدّ السعي؛ أي أصبح غلاماً يافعاً، رأى إبراهيم في منامه أنه يذبح ابنه، ورؤيا الأنبياء وحي، فشاوره في تأويل رؤياه.

تحليلها:

(يا بُنيّ)؛ ابتداء الأب خطابه بالنّداء؛ أداة النداء(يا) للطلب والتنبيه على ما سيأتي من خطاب، والمنادى (بُنيّ)؛ للتقرب والتحبب، تمهيداً للأمر الهامّ الذي سيلقيه عليه.

(إنّي أرى..أنّي أذبحك): استخدام التّوكيد في الجملة الاسمية المؤكّدة (بإنّ) مرّتان، وجاء الخبر في كلا الجملتين جملة فعلية، فعلها مضارع، وأسلوب التوكيد كان إشعاراً بعظم الأمر، وأهميّته في الرؤيا التي تبدّت له في ذبح ابنه. فمرارة الخطب على قلب إبراهيم من هذه الرؤيا دفعته أن يستخدم أسلوب التوكيد في أكثر من مرة؛ إشعاراً له لأهمية الأمر الذي ينتج عن رؤياه، أو لعلّه يثبُت أمام ردّة فعل ابنه.

(فانظر ماذا ترى): فعل الأمر (انظر)، وجملة (ماذا ترى)؛ أي ماذا تأتي به من رأيك، يدلّان على أنّ إبراهيم يشاور ابنه في هذه الرؤيا، فلم يقل له آمراً: (سأذبحك امتثالاً لأمر الله)، ولم يذبحه من غير علمه، أو خلسة أن يغدر به، ربما كان ذلك يفسّر بعد النظر عند إبراهيم وعلاقته المتينة بابنه، فاتّبع أسلوب المشاورة. ويرى الزمخشري بأن إسماعيل آنذاك كان "ابن ثلاث عشرة سنة، لم تستحكم قوته بعد، ولم يصلب عوده، لكن فيه من رصانة الحلم، وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك الجواب الحكيم" [109]: يا أبت، افعل ما تؤمر.

قصدها: المشاورة في الطلب، والثبات في المحنة بالطلب غير المباشر.

استراتيجياتها: تلميحية للطلب.

المقولة الثانية: يَا أَبَتِ، افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ

طرفاها: إسماعيل ردّا على أبيه

سياقها: ردّاً على مشورة أبيه في رؤيا ذبحه.

تحليلها:

([107]) الزمخشري، الكشاف: (ص382/2).

([108]) القرآن، الصافات: 102.

([109]) الزمخشري، الكشاف: (ص 4/51–52).

قابل النداء بالنداء: (يا أبتِ) مقابل (يا بُني)؛ احتراماً وانصياعاً لأمر الأب، وكلمة (أبتِ) بمعنى (أبي)، محذوفة الياء، ومستبدل منها بهاء، كقولنا أمه، وفي القرآن الوقف عليها بالتاء ومن قبيلها أبتاه، أبي[110]، وهي لفظة متداولة، فقد ذكرها القرآن في أكثر من موضع.

(افعلْ ما تؤمرْ): فعل الأمر، والفعل المضارع المبني للمجهول لصلة الموصول في جملة الطلب؛ لتثبيت أبيه على ما عزم عليه.

وأتبع قوله بالجملة الفعلية فعلها المضارع المسوّف: (ستجدني إن شاء الله من الصّابرين) المتبوع بالحالة التّي سيجدها أبوه عليها عند تنفيذ أمره.

(إن شاء الله): الجملة المعترضة بين الجملة الفعلية (ستجدني) وبين (من الصابرين)؛ تذكيراً بأنّ كلّ ما يفعله هذا الابن واقع بمشيئة الله، فإسماعيل مدرك أنّ الذّبح ليس سهلاً على قلبيهما؛ لذا وكأنها جاءت من قبيل الدعاء للتثبيت.

قصدها: تقديم الامتثال والطاعة فيما طُلب منه.

استراتيجياتها: تصريحية.

(5)المقولة الخطابية: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[111] وتتمثل في مقولتين حواريتين في الآتي:

* المقولة الأولى: يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ

طرفاها: يوسف لأبيه يعقوب عليهما السّلام

سياقها: يرى يوسف وهو غلام لا يتجاوز العاشرة من عمره رؤيا أفزعت قلبه الصغير، فلجأ لأبيه يسردها.

تحليلها:

الابتداء بالنداء(يا أبتِ)، وهو نوع من التأدّب، ولفت الانتباه، ولون من الاستئناس بمن يكبره ويحبّه.

(إنّي رأيت...): التّوكيد في الإخبار عن الرّؤيا؛ إيهاماً منه بأنّ أباه قد يساوره الشكّ في رؤياه الغريبة التي سيقصّها عليه، فأكّد. وقد تكون إشارة بأنّها شيء أشبه بالحقيقة.

(رأيتُ)، (رأيتُهم): تكرار الفعل المضارع؛ تأكيداً على ما رآه، فتحوّلت في مخيّلته إلى حقيقة مرئيّة، كأنّها ماثلة أمامه، لكن الزمخشري لا يراه تكراراً للفعل، بل هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأن أباه سأله: كيف رأيتها؟ فقال: رأيتهم لي ساجدين[112].

تقديم حرف الجرّ والمجرور (لي) على (ساجدين)، والتقديم والتأخير[113] يعدّ أسلوباً من أساليب التوكيد، وقد ذكر مقاصده الرازي؛ ووالتقديم هنا كان للتركيز والتأكيد على استغراب يوسف من فعل السّجود له بالذّات، ويبدو عنده أنّ أمر السجود حاصل ومعتاد، لكن ما ليس متقبّلاً وغير اعتياديّ هو سجودها له هو، لذا كان الضمير الإشاري للجمع في (رأيتهم) ولم يقل (رأيتها) لوصفها بما هو خاصّ بالعقلاء وهو السجود على حدّ تعبير صاحب الكشاف[114].

4. قصدها: الاستفسار عن الرؤيا؛ طلباً للطمأنينة.
5. استراتيجياتها: تصريحية للاستفسار.

([110]) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل: (ص2/11-12).

([111]) (القرآن، يوسف:2-4)

([112]) الزمخشري، الكشاف: (ص2/426).

([113]) ينظر الرازي، نهاية الإيجاز: (ص316-320).

([114]) الزمخشري، الكشاف: (ص2/426-427).

* المقولة الثانية: (يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

طرفاها: يقوب لابنه يوسف عليهما السلام.

سياقها: ردّ يعقوب على خطاب ابنه في الاستفسار عن الرؤيا

تحليلها:

(يا بُنيّ): الاستهلال بالنّداء؛ ردّا على استفتاح ابنّه بالنداء، فكان للتلطّف والتحبّب والتّقرب منه، وإجابة للاستئناس بطمأنته، إضافة إلى استرعاء انتباهه بما سيخاطبه به.

(لا تقصّص رؤياك على إخوتك): النّهيّ بالأمر، فهو أب حريص على مصلحة ابنه، شفيق عليه من حسد إخوته وبغيهم، عارف بدلالة الرؤيا التي ستبلغه مبلغاً من الحكمة والاصطفاء بالنبوة، كما فُعل بآبائه من قبل. ثم ألحق كاف الإشارية (رؤياك)؛ إشارة منه بأن هذه الرؤيا تخصّ يوسف بالذّات، فنهاه من قصّها (على إخوتك)؛ تحذيراً وحرصاً وتأكيداً.

أسلوب الحذف؛ فالأصل في الجملة أن تكون: فإذا قصصت رؤياك على إخوتك فالنتيجة سيكيدوا لك كيداً[115]، لكنه قال: (لا تقصص... فيكيدوا لك كيدا)، ولعلّ الحذف إشارة إلى أهميّة النّتيجة، وذكر فعل القصّ مسبقاً، فلا داعي للتكرار، كما أنّه عارف بنباهة عقل يوسف وحصافته.

التّكرار (يكيدوا لك كيدا)؛ زيادة في الحرص على عدم القصّ؛ وكأنّ نتيجة المكر منهم له حتميّة كما يراها الأب، فيكون آكداً ليوسف، وأبلغ في التّخويف.

(إنّ الشّيطان للإنسان عدوّ مبين): التّوكيد للتّحذير؛ فقدّم الجار والمجرور على الخبر؛ لتأكيد العداوة الواضحة لبني الإنسان بالذّات، فما بالك بالأخوة! وجاء هذا الأسلوب وهذه الكلمات حتى يشتدّ حرص يوسف من الشّيطان وفعله، فقد ينزغ بينه وبين إخوته. فالرؤيا دلالتها جليّة إلى ما سيؤول إليه يوسف من مكانة عظيمة وشأن كبير؛ لذا لابدّ أن يتّخذ الأب أسلوباً آكداً للتّحذير والتّرهيب.

(يجتبيك)، (يعلمك من تأويل الأحاديث)، (يتمّ نعمته عليك كما أتمّها على أبويك...): عبارات لاستقراء مستقبل يوسف من خلال هذه الرؤيا، والتّنبؤ بنبوّة ابنه، أفعال مضارعة للمستقبل، متبعاً هذه التنبؤات بجملة خبرية مؤكّدة (إنّ ربك عليم حكيم...)، بمن يصطفي لرسالاته.

قصدها: خطاب تحذيريّ توجيهيّ لأخذ الحيطة والحذر، تنبؤيّ لمستقبل ابنه.

استراتيجياتها: تصريحية توجيهية.

(6) المقولة الخطابية: ﴿ يَا أَبَتِ؛ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ، قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا، وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ، وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي، إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[116]

طرفاها: يوسف عزيز مصر لأبيه يعقوب –عليهما السلام–.

سياقها: بعد أن دارت السنين وتقلّد يوسف خزائن مصر وأصبح عزيزها، وجاء إخوته يطلبون كيلاً، عرفهم ولم يعرفوه، وجرت أحداث كثيرة إلى أن طلب منهم أن يأتوا بأبيهم وأهلهم جميعاً إليه.

تحليلها:

([115]) الزمخشري، الكشاف: (ص427/2).

([116]) (القرآن، يوسف: 100)

(يا أبتِ): الاستفتاح بالنّداء؛ تأكيداً على التّأدّب في علاقة الأبناء مع آبائهم مهما علت مناصبهم، فيوسف عزيز مصر امتثل أبوه أمامه، وعلى الرغم من هذه المكانة الرّفيعة التي يتبوّأها يوسف عليه السلام إلا أنّه ما يزال يحفظ لأبيه مقامه، ولم يتخلّ عن النّداء المحبّب عنده، ولعلّ النداء هنا كان لغرض التذكير في سالفة الرؤيا التي مضت.

(هذا تأويل رؤياي): الابتداء بجملة اسميّة مثبتة، والمبتدأ فيها اسم إشارة إلى الذي صار من أمر أبويه وإخوته بالمجيء عنده والسجود له، فـ(هذا) كلّه تأويل للرؤيا التي قصّها عليه وهو غلام، وكانت أشبه بالحقيقة المرئيّة؛ حتّى أصبحت حقيقة جليّة.

(أخرجني من السجن)، (جاء بكم من البدو) (بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي مثلما حذّره والده): جمل فعلية، تدلّ على الأحداث التي جرت، وأطنب في سرد الوقائع التي مرّت به استئناساً بالخطاب مع أهله، ومن أحقّ منهم بالاستماع إليه! ومواجهة في كشف الحقائق الخفية عليهم، ومواجهتهم بفضله عليهم.

(قد جعلها)، (قد أحسن)، (إنّ ربي)، (إنّه هو): تنوّع أساليب التوكيد؛ للإيحاء لأبيه وإخوته بأن ربّه المتصرّف بمجريات الأحداث التي أصابتهم جميعاً، وفق لطفه وعلمه وحكمته.

قصدها: الاستئناس بالحديث والتذكير بتأويل الرؤيا التي رآها وهو غلام، والمواجهة في إثبات حقيقتها التي تحققت بمجيئهم إليه جميعاً، وتفضّله عليهم لأنه أضحى بيده أمر أهله.

استراتيجياتها: استراتيجية المواجهة.

خاتمة ونتائج:

خلص البحث إلى أنّ دراسة المقولات الخطابية لا تتم بتحليل أساليبها اللغوية أو تراكيبها فحسب، بل وفق معطيات التداولية، كالسياقات التي أنتجتها، ومقاصد المخاطِب الإبلاغية المغيّاة؛ ليحدث التأثير في عملية التواصل بين الأطراف المتخاطبة.

واستقامت أهم نتائج البحث في الآتي:

تبين أن طرفي الخطاب أو المقولات الخطابية في الأسرة تمثلت في فئتين رئيستين، هما: فئة الأنداد، وفئة الأضداد، أما الأولى فتمثّلت في الخطاب بين:

الزوج وزوجه، وجاءت على لسان امرأة فرعون لفرعون، وعزيز مصر لامرأته، وامرأة عزيز مصر له.

الإخوة: ابني آدم، موسى وهارون، يوسف وإخوته.

وجاءت مقولات الفئة الثانية بين الآباء والأبناء: ابنة شعيب لأبيها، إبراهيم وأبيه، إبراهيم وابنه إسماعيل، يوسف وأبيه، نوح وابنه.

كشف سياق المقولات الخطابية عن جوانب من العلاقات بين طرفي الخطاب، نحو العلاقة الحميمة بين يوسف وأبيه، وإبراهيم وابنه إسماعيل، وشعيب وابنته، والعلاقة غير المتآلفة بين نوح وابنه، وإبراهيم وأبيه، وعزيز مصر وامرأته، والعلاقة الندية بين يوسف وإخوته، وبين ابني آدم، والعلاقة التوافقية بين موسى وأخيه هارون.

كما دفع السياق والعلاقة بين طرفي الخطاب إلى انتقاء الأساليب اللغوية التي تضمّنت في طيّاتها الكلمات المعجمية المنتقاة، والإحالات الإشارية والضمائر.

تباينت الأساليب اللغوية وتنوعت وفق العلاقة بين طرفي الخطاب، فكشفت اللثام عن العلاقة بينهما والقصد الذي أراده المخاطِب والسياق الذي قيلت فيه، نذكر على سبيل المثال لا الحصر أسلوب النداء: نداء هارون لموسى بـ (يا ابن أم)، ونداء إبراهيم لأبيه (يا أبت) مقابل نداء الأب لإبراهيم (يا إبراهيم)، ونداء يعقوب لابنه يوسف (يا بُنيّ) بصيغة التصغير مقابل نداء يوسف لأبيه (يا أبت)، ونداء نوح لابنه (يا بُنيّ)، مقابل لا نداء...

استطاع السياق أن يبوطق مقصد المخاطِب الإبلاغي، نحو الإقناع والالتماس والتحذير والتوجيه والتنبيه والتهديد... رُصدت في أماكنها في الدراسة.

أدار مقصد المقولة الخطابية الأساليب اللغوية متأثراً بسياقها، فمقصد التهديد في سياقه كانت له أساليبه التي تباينت عن مقصد الإقناع أو الطلب...إلخ وهذا المقصد أو ذاك جيّر الأساليب اللغوية كالنداء والتوكيد والتقديم والتأخير والأمر والنهي والنفي... كما جيّر الاستراتيجيات وفقها كذلك.

تباينت استراتيجيات المقولات الخطابية وفق كل معطيات المقولة من أطراف الخطاب وسياقها والرسالة المراد إيصالها والهدف أو المقصد من الرسالة؛ لتكون تصريحية، أو تلميحية، أو توجيهية، أو تهديدية...إلخ، ولاحظنا أن الاستراتيجيات المتبعة مثلا بين الإخوة كانت معظمها قائمة على التصريح، أما بين الأزواج فكانت تتراوح بين التصريحية والتلميحية، بينما اتبع الآباء الاستراتيجية التوجيهية...

الأساليب اللغوية والضمائم والإشاريات والكلمات المعجمية ساهمت في إيصال رسالة المخاطِب للمخاطَب باستراتيجية مقصودة مُهدّفة، واستطاعت هذه وتلك أن تعمد إلى انتقاء استراتيجية بعينها في الخطاب التواصلي، فثمة ما هو مباشر كالتصريحية والتوجيهية، وثمة غير المباشر كالتلميح...

وأخيرا فإننا لو قمنا بتحليل المقولات الخطابية وفق أساليبها فحسب بعيدة عن دلالاتها لأصبحت دراسة قائمة على تراكيب نحوية، ولأصبح تحليلاً تجريدياً بعيداً عن الأهمية التأثيرية التفاعلية في التواصل، لذا أفادت توليفة التداولية استنطاق تحليل أبعاد المقولة وموضوعها وتأثيرها.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

القرآن الكريم.

الآمدي؛ علي بن محمد. (1986م). *الأحكام في أصول الأحكام*، تحقيق سيد الجميلي.ط2، بيروت: دار الكتاب العربي.

إريس؛ مقبول، البعد التداولي عند سيبويه، *عالم الفكر*، العدد1، المجلد 33.

أدهم؛ سامي. (1993م). *فلسفة اللغة – تفكيك العقل اللغويّ بحث ابستمولوجي انثولوجي*، ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

الأخضر؛ الصبيحي محمد. (2005/2004م). *المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي شعبة العلوم الإنسانية*، مخطوطة أطروحة دكتوراه دولة، جامعة قسنطينة.

أوشان، على آيت. (2000م).*السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة*، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، المغرب: الدار البيضاء.

براون؛ ج. ب، ويول. ج، (1997م).*تحليل الخطاب*، ترجمة محمد الزليطني ومنير التريكي، المملكة العربيّة السّعوديّة، الرياض: النشر العلمي والمطابع– جامعة الملك سعود.

البرماوي، شمس الدين محمد بن عبد الدائم الشافعي،(ب.ت). *شرح الصدور بشرح زوائد الشذور، تتميم لما فات ابن هشام في شرحه لشذور الذهب في معرفة كلام العرب*، تحقيق أحمد إسماعي عبد الكريم، دار الكتب العلمية.

البغوي، الحسين بن مسعود، (1993م). *تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل*، تحقيق: محمد عبد الله النمر. ط1، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

بوجادي؛ خليفة. (2009م). *في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم* ، الجزائر: بيت الحكمة.

بودرع؛ عبد الرحمن. (22/مايو/2015م). *النّصّ والخطاب*، مجمع اللغة العربية،. على الشّابكة العالمية:
http://www.m-a-arabia.com/site/10971.html

بوحوش؛ رابح. (2012م).*الأسلوبيّات وتحليل الخطاب*، الجزائر ، مختبر جامعة عنّابة.

بوقرة، نعمان، (2006)، *الخطاب الأدبي ورهانات التأويل– قراءة نصية تداولية حجاجية*، ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث.
بيدس؛ هالة. والعليمات؛ فاطمة. (2013م). خطاب المرأة اللغوي في القرآن الكريم، *مجلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة*، الأردن، المجلد 40، العدد2.
بيكرتون؛ ديريك. (2001م).*اللغة وسلوك الإنسان*، ترجمة محمد زياد كبّة، إدارة النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود.
ابن الجوزي؛ جمال الدين أبو الفرج،(2019م). *زاد المسير في علم التفسير*، تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبدالله، بيروت، لبنان: دار الفكر، ط1، المجلد الثالث، الجزء الخامس.
الجويني؛ أبو المعالي. (1979م). *الكافية في الجدل*. تحقيق فوقية حسين محمد، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي.
الحبابي؛ محمد عزيز. (1980م). *تلأمّلات في اللغة والنحو*، تونس: ليبيا.
حباشنة؛ صابر. (2004م). الأسلوبية والتداولية، التجاور والتداخل، *مجلة آفاق الثقافية*.
الحربي؛ فرحان بدري، (م2003م).الأسلوبية في النقد العربي الحديث *(دراسة في تحليل الخطاب)*، ط1، بيروت مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر: والتوزيع.
الحملاوي؛ أحمد. (ب.ت). *شذا العرف في فن الصرف*، بيروت، لبنان: دار القلم.
خطابي، محمد. (1983م) . *لسانيات النص مدخل إلى إنسجام الخطاب*، بيروت.
خلوفي قدور. (2015/2014م).*مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني سورة الكهف أنموذجاً*، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
الخطيب؛ طاهر يوسف.(1992م). *المعجم المفصل في الإعراب*، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
دولودال؛ ج. (1994م). *التحليل السيموطيقيّ للنّصّ الشّعريّ*، ترجمة عبد الرحمن بو علي، ط1، مطبعة المعارف الجديدة.
الدويك؛ بدر. (1997م).*بحوث في اللغويات الاجتماعية التطبيقية*، ط1، الأردن جامعة عمّان الأهلية.
الرازي؛ فخر الدين، (1985م). *نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز*، تحقيق: بكري شيخ أمين، ط1، بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
ربابعة؛ يوسف، ونزال؛ نبال، (5–11– 2019م).العدول من الجملة الفعلية إلى الاسمية (دراسة تداولية في عناوين جريدة الغد الأردنية)، *مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية*، غزة، مقبول للنشر.
رضا؛ محمد رشيد، (1990م). *تفسير المنار*، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
الزمخشري؛ جار الله محمود بن عمر. (1995م). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، ضبط محمد عبد السلام شاهين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
ساري؛ حلمي. (2016م).التواصل الاجتماعي، ط1، عمّان، الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
السعران؛ محمود، (1958م).*اللغة والمجتمع رأي ومنهج*، بنغازي.
شابي؛ سعاد،(2015م). الأفعال الكلامية والأفعال الحجاجية في سورة النمل مقاربة تداولية، *مجلة رفوف "مخبر المخطوطات الجزائرية في أفريقيا"* – الجزائر، العدد الثامن، ديسمبر.
الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد. (ب.ت). *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، بيروت، لبنان: دار الأرقم بن أبي الأرقم.
الشّهريّ؛ عبد الهادي بن ظافر، (2015م). *استراتيجيات الخطاب– مقاربة لغوية تداوليّة*، ط2، عمّان، الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

صحراوي؛ مسعود،(2005م). *التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي*، بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.

الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد،.(1992م). *تفسير الطبريّ المسمّى جامع البيان في تأويل القرآن*، ط1، بيروت، لبنان: دار الكتب العلميّة

الطنطاوي؛ محمد سيد. (1998م). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، ط1، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

ظاظا؛ حسن محمد توفيق. (1971م).*اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة*، القاهرة.

عبد الرحمن، طه. (1998م). *اللسان والميزان*، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

عبد الرحمن؛ لبنى. (2006م). الدلالات الزمنية للفعل المضارع في اللغة العربية– سورة يوسف نموذجاً، ***The Malaysian Journal of Islamic Sciences***, Vol. 5. الشابكة العالمية:
http://uijournal.usim.edu.my/index.php/archives/vol-5-2006/177-2015-04-16-09-20-33

العبد؛ محمد، (2005م). *النص والخطاب والاتصال*، القاهرة: المكتبة الأكاديمية الحديثة.

العسكريّ؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، *الصناعتين*، (1986م)، تحقيق: علي محمد البيجاوي، ومحمد بن الفضل إبراهيم، صيدا، بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

الغرايبة؛ علاء الدين. (2014م). الجملة الطلبيّة في سورة يوسف "دراسة تركيبيّة دلاليّة"، *مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد41، العدد1*.

القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبو بكر.(1964م).*تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن*، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية.

قطب؛ سيد. (1982م). *في ظلال القرآن*، ط10، دار الشروق.

ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر، (2010م). *تفسير القرآن العظيم*، ط1، بيروت، لبنان: دار الكتب العلميّة.

لطفي؛ مصطفى. (1976م). *اللغة العربية في إطارها الاجتماعي*، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت.

لهويمل؛ باديس، (2011م). التداولية والبلاغة العربية، *مجلة المخبر*، أبحاث في اللغة والأدب الجزائريّ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 7.

لويس؛ م. (1959م) .*اللغة في المجتمع*، ترجمة تمام حسان، القاهرة.

مؤمن؛ أحمد، (2005م). *اللسانيات النشأة والتطور*، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: الساحة المركزية، بن عكنون.

ابن مالك؛ أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد. (2000م). *شرح الكافية الشافية*، تحقيق علي محمد معوض وعادل عبد الموجود. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

المتوكل؛ أحمد:

(1995م). *قضايا اللغة العربيّة في اللسانيّات الوظيفيّة– البنية التّحتيّة أو التّمثيل التّداوليّ*، الرّباط: دار الأمان.

(2013م). *اللسانيات الوظيفية وتحليل الخطاب*، بحث في مؤتمر لسانيات الخطاب وتحليل الخطاب، ط1،عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

المسدي؛ عبد السلام، (2008م). *السياسة وسلطة اللغة*، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية للنشر.

مصابيح؛ محمد. (2009م). *مفهوم النص والخطاب*، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الشبكة العالمية، 6/فبراير/2009
http://www.nashiri.net/articles/literature-and-art/4022-v15-4022.html

معجم المعاني الجامع، الشابكة العالمية: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/

المعجم الوسيط، (1972م). ط2، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (1999م). *لسان العرب*، تصحيح أمين الوهاب، محمد العبيدي، ط 3، دار إحياء التراث العربيّ، لبنان، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.
لطفي؛ مصطفى. (1976م). *اللغة العربية في إطارها الاجتماعي*، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت.
لويس؛ م. (1959م). *اللغة في المجتمع*، ترجمة تمام حسان، القاهرة.
نحلة؛ محمود أحمد. (2002م) .*آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*، مصر: دار المعرفة الجامعية.
النورج؛ ح. (2014م). *تحليل الخطاب السياسي في ضوء الاتصال اللغوي– محمود شاكر نموذجاً*، ط1، القاهرة: عالم الكتب.
نهر؛ هادي. (1998م). *اللسانيات الاجتماعية عند العرب*، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع.
هاينيه، فولفجانج. (1996م). *مدخل إلى علم اللغة النصي*، ترجمة فالح العجمي، السعودية.
هدسون. (1990م) .علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، ط2، القاهرة: عالم الكتب.
وافي؛ علي عبد الواحد. (1971م). *اللغة والمجتمع*، مصر.
يحيى؛ بعيطيش، (2006/2005م).*نحو نظرية وظيفة النحو العربي*، أطروحة دكتوراه، قسنطينة: جامعة منتوري.
ابن يعيش؛ موفق الدين. *شرح المفصل للزمخشري*. بيروت: عالم الكتب.
يقطين؛ سعيد.(1997م). *تحليل الخطاب الروائيّ*، بيروت: المركز الثّقافيّ العربيّ.

قائمة المراجع المرومنة:

- The Holy Quran

Al-Abd, M. (2005). Text, Discourse and Communication, (in Arabic). The Modern Academic Library, Cairo.

Al-Akhdar, A. (2004/2005). Modern Linguistic Curricula and its Impact on Teaching Texts in Secondary Education, (in Arabic). Division of Human Sciences, State PhD Thesis Manuscript, Constantine University.

Abdul Rahman, L. (2006). Temporal connotations of the present tense verb in the Arabic language - Surat Yusuf as a model. (in Arabic). The Malaysian Juornal of Islamic Sciences, Vol. 5., The World Wide Web:
http://uijournal.usim.edu.my/index.php/archives/vol-5-2006/177-2015-04-16-09-20-33

Abdul Rahman, T. (1998). The tongue and the balance, (in Arabic). 1st floor, Arab Cultural Center, Casablanca.

Al-Askary, A. (1986). The Two Industries, (in Arabic). edited by Ali Muhammad Al-Bijawi and Muhammad Ibn Al-Fadl Ibrahim, Modern Library Publications, Saida, Beirut.

Al-Baghawi, A. (1993). Al-Baghawi's interpretation of the landmarks of the download, (in Arabic). edited by: Muhammad Abdullah al-Nimr. First Edition, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.

Al-Barmawi, S. Explanation of the Chests with an Explanation of the Appendices of the Shard, (in Arabic). Completed when Ibn Hisham missed in his explanation of the Shares of Gold in Knowing the Words of the Arabs, Achieved by Ahmed Ismaili Abd al-Karim, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Gharaibeh, A. (2014). The Student Sentence in Surat Yusuf, "A Syntactic Semantic Study, (in Arabic)." Journa*l of Human and Social Sciences Studies, Volume 41, Issue 1*.

Al-Hamalawy. "An Aroma of Tradition in the Art of Exchange",(in Arabic). Dar Al-Qalam, Beirut, Lebanon.

Al-Harby, F. (2003). Stylistics in Modern Arab Criticism (A Study in Discourse Analysis), (in Arabic). Edition 1, Majd University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut.

Al-Khatteb, T. (1992). The Detailed Dictionary of Parsing, (in Arabic). 1st Edition, Dar Al-Kotob Al-Ulumya, Beirut.

Al-Masdi, A. (2008). Politics and the Authority of Language, (in Arabic). Egyptian Lebanese Publishing House, Cairo.
Al-Mutawakkil, A. (1995). Issues of the Arabic Language in Functional Linguistics - The Infrastructure or Deliberative Representation, (in Arabic). Dar Al-Aman Rabat.
Al-Mutawakkil, A. (2013). Functional Linguistics and Discourse Analysis, a paper in the Discourse Linguistics and Discourse Analysis Conference, (in Arabic). 1st Edition, House of Knowledge Treasures for Publishing and Distribution, Amman.
AlnorJ, H. (2014). Analysis of political discourse in light of linguistic communication , (in Arabic). - Mahmoud Shaker as a model, 1st Edition, The World of Books, Cairo.
Al-Qortoby, M. (1964). Al-Qurtubi's Whole Interpretation of the Provisions of the Qur'an, 2nd Edition, Dar Al-Kutub Al-Masrya, Cairo.
Al-Razi, F. (1985). The End of Brief in Derayat Al-Mijaz, (in Arabic). edited by: Bakri Sheikh Amin, 1st Edition, Dar Al-Alam for Millions, Beirut, Lebanon.
Al-saaraan, M. (1958). Language and Society: Opinion and Methodology, (in Arabic). Benghazi.
Al-Shahry, A. (2015). Discourse Strategies - A Linguistic Deliberative Approach, (in Arabic). 2nd Edition, House of Knowledge Kunooz Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
Al-Shawkaany, M. Fatah Al-Qadeer, the Collector between the Technician of the Novel and the Know-how from the Science of Tafsir, (in Arabic). Dar Al-Arqam Ibn Abi Al-Arqam, Beirut, Lebanon.
Adham, S. (1993).The Philosophy of Language - Deconstructing the Linguistic Mind, An Epistemological Research (in Arabic), 1st Edition, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut.
Auchan, A. (2000). Context and Poetic Text from Structure to Reading, (in Arabic). An-Najah New Press, 1st Edition, Casablanca, Morocco.
Amidian, A. (1986). Al-Ahkam fi Usool Al-Ahkam (in Arabic), Sayed Al-Jumaili's investigation, ed. 2, Arab Book House, Beirut.
Bedas, H. and Olimat, F.(2013). Women's Linguistic Discourse in the Holy Quran, (in Arabic). *Journal of the Humanities and Social Sciences*, Jordan, Volume 40, Issue 2.
Bohosh, R. (2006) .Stylistics and Discourse Analysis, (in Arabic). Annaba University Laboratory, Algeria.
Boqerra, N. (2012). Literary Discourse and the Stakes of Interpretation - Reading an argumentative textual argument, (in Arabic). 1st Edition, Modern Book World, Jordan.
Brown J, and yol. J. (1997). Discourse Analysis, (in Arabic). translated by Muhammad Al-Zalitni and Munir Al-Triki, Kingdom of Saudi Arabia, Scientific Publishing and Press - King Saud University, Riyadh
Budari3, A. Text and Discourse, (in Arabic).Academy of the Arabic Language, May 22, 2015. On the global network:
Bugadi, K. (2009). in deliberative linguistics, (in Arabic). with an attempt to root in the ancient Arabic lesson. House of Wisdom, Algeria.
Collective Dictionary of Meanings, (in Arabic). The Global Web:
https://www.almaany.com/ar/dict/ar/
Dhaadhaa, H. (1971). The tongue and the human being an introduction to language knowledge, (in Arabic). Cairo.
Doolodal; J. (1994). Semiotic Analysis of the Poetic Text, translated(in Arabic). by Abd al-Rahman Bu Ali, 1st Edition, New Knowledge Press.
Dweck, B. (1997). Research in Applied Sociolinguistics, (in Arabic). 1st Edition, Al-Ahliyya Amman University, Jordan.
Eris, M. The deliberative dimension of Sebawayh, The Scholar of Thought(in Arabic), Issue 1, Volume 33.
Hababi; (1980) Mohamed Aziz. Reflections on Language and Grammar, Libya, Tunisia.
Habashneh, S. (2004). Stylistic and deliberative, contiguity and overlap, (in Arabic). Afaq Cultural Magazine.
Heine, W. (1996). An Introduction to Textual Linguistics, (in Arabic), translated by Faleh Al-Ajami, Saudi Arabia.
Hudson, (1990) Sociolinguistics, (in Arabic). translated by Mahmoud Ayad, 2nd Edition, The World of Books, Cairo.
Ibn Al-Jawzi, J. (2019). Zad Al-Maseer in the Science of Tafsir, (in Arabic). Edited by Muhammad Ibn Abd Al-Rahman Abdullah, Beirut, Lebanon: Dar Al-Fikr, 1st Edition, Volume Three, Part Five.

Ibn Kathir, I. (2010). Interpretation of the Great Qur'an, (in Arabic). 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ulumiyah, Beirut, Lebanon.
Ibn Malik. J. (2000). Explanation of Al-Kafia Al-Shifa, investigation (in Arabic). by Ali Muhammad Moawad and Adel Abdul-Muawjid. I 1. Scientific Books House, Beirut.
Ibn Manthur, J. (1999).Lisan al-Arab, correcting Amin al-Wahhab, Muhammad al-Ubaidi, 3rd Edition, House of Revival of Arab Heritage, (in Arabic). Foundation for Arab History, Lebanon, Beirut.
Ibn- Ya3eesh, M. Detailed explanation by Al-Zamakhshari (in Arabic). The world of books. Beirut.
Juwayni, A. (1979). Adequate in the debate superstitious investigation, (in Arabic). Hussein Muhammad. Issa Al-Babi Al-Halabi Press, Cairo.
Khaloufi, K. (2014/2015). Levels of Verbal Actions in the Qur'anic Discourse, Surat Al-Kahf as a Model, PhD thesis, University of Oran, (in Arabic). People's Democratic Republic of Algeria.
Khattaby, M. (1983). Linguistics of Text, (in Arabic). An Introduction to Discourse Harmony, Beirut.
Louis, M. (1959). Language in Society, (in Arabic). translated by Tamam Hassan, Cairo.
LihweimelM B .(2011). deliberative and Arabic rhetoric, (in Arabic*). Al-Mukhbar magazine, Researches in Algerian Language and Literature*, Mohamed Khaider University, Biskra, Issue 7
Lutfi, M. (1976). The Arabic Language in Its Social Context, (in Arabic). 1st Edition, Arab Development Institute, Beirut.
Masaabeeh, M. (2009). Concept of Text and Discourse, (in Arabic). Nashiri House for Electronic Publishing, Global Network, 6 / February
http://www.nashiri.net/articles/literature-and-art/4022-v15-4022.html
Mo'men, A. (2005). Linguistics of Origin and Development, (in Arabic). 2nd Edition, University Press Office, Central Square, Ben Aknoun, Algeria.
Nahla, M. (2002). New Horizons in Contemporary Linguistic Research, (in Arabic). University Knowledge House, Egypt.
Nahr, H. (1998). Sociolinguistics among the Arabs, (in Arabic). 1st Edition, Dar Al-Amal for Publishing and Distribution.
Pickerton,D. (2001) .Language and Human Behavior, (in Arabic). translated by Muhammad Ziyad Kabbah, Department of Scientific Publishing and Press, King Saud University.
Rababa,Y. and Nazzal, N. (2019). Adjudication from the verbal sentence to the nominative (a deliberative study in the titles of the Jordanian newspaper Al-Ghad), (in Arabic*). Journal of the Islamic University for Human Studies*, Gaza, acceptable for publication.
Ridha, M. (1990). Interpretation of Al-Manar, (in Arabic). Egyptian Book Authority, Cairo.
Sahraawy, M. (2005). The deliberative study of Arab scholars, a deliberative study of the phenomenon of "verbal acts" in the Arab linguistic heritage, (in Arabic). Dar Al-Tale'ah for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon.
Sary, H. (2016). Social Communication, (in Arabic). 1st Edition, Dar Kunooz Al Marifa for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
Shabby, S. (2015). Verbal Verbs and Pilgrim Verbs in Surat An-Naml: An Interdisciplinary Approach, (in Arabic). *Rufoof Magazine "The Laboratory of Algerian Manuscripts in Africa"* - Algeria, Issue Eight, December.
Tabary, M. (1990). Tafsir al-Tabari called Jami al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an, (in Arabic). Edition 1, Dar al-Kutub al-Ulumiyyah, Beirut, Lebanon.
Tantawi, M. (1998). Interpretation of the Noble Qur'an, (in Arabic). 1st Edition, Dar Nahdet Misr for Printing and Publishing, Cairo.
The Intermediate Dictionary (1972), (in Arabic). 2nd Edition, The Academy of the Arabic Language, Cairo.
Wafi, A. (1971). Language and Society, (in Arabic), Egypt.
Yahia, B. (2005/2006). Baitish, Towards a Theory of the Function of Arabic Grammar, PhD thesis (in Arabic). University of Mentouri, Constantine.
Yaqteen, S. (1997). Analysis of the Fictional Discourse,(in Arabic). Arab Cultural Center, Beirut.
Zamakhshari, J. (1995). the discoverer of the mysterious facts of revelation and the eyes of gossip in the faces of interpretation, (in Arabic). seized by Muhammad Abd al-Salam Shaheen, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.